الفصل الثالث.

التصور الإسلامي للتخلف والنهضة

يـوم أن حمـل الصـادقون فـي عصـور مختلفـة الإسـلام واتبعـوا أوامـره محللين حلاله ومحرمين حرامه كانت النتائج عظيمة لأن الله كـان يبـارك الأعمال الصادقة ويؤيدها ويمدها بعونه. ومثال الصحابة الكرام في غـزوة بدر خير نموذج على ذلك المدد الرباني والعون الإلهي الكريم:
(إذ تسـتغيثون ربكـم فاسـتجاب لكـم أنـي ممـدكم بـألف مـن الملائكـة مسومين)
نعم كان الإتباع الصادق لله وللرسول هو الهدف الأسـمى الـذي يحيـون من أجله ويموتون عليه. لقد كانت الحيـاة بالنسـبة للأجيـال الصـادقة مـع الله عبادة يتقربون بها إليه ويرجون رحمتـه ويخـافون عقـابه. لقـد كـانت عبادة الله الصادقة تعنـى لهـم شـيئا واحـد فـي ميـدان الحيـاة أن هنالـك حرامـا وحلالا لا تحـدده الأهـواء و لا الأفئـدة و لا المصـالح أو التجـارب التاريخية أو الأوضاع القومية، وإنما ما بينه رب العالمين من حلال وحرام. وخطاب الله لهم واضحا بينا إما الإتباع وإما الابتداع، إمـا الحـق مـن عنـد الله وإما ضـلالات البشـر النابعـة مـن فكرهـم الـدنيوي الـوثني، وإمـا أن يكونوا على التوحيد فيكونوا في أمن من مكر اللـه وإمـا أن يكونـوا علـى الشرك فهم في غير مأمن من عقابه و مكره:
(اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)
(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مـا لـم ينـزل بـه سلطانا عليكم فأي الفريقين أحق بالأمن أن كنتم مؤمنين)
كـان الـوحي الربـاني والهـدي النبـوي واضـحا جليـا فـي نفوسـهم وكـانوا يدركون تماما أن هذا المنهج الرباني ليس مثاليات نظرية يتـم ممارسـتها في ميدان العقل أو النفس، وإنما هـو منهـج مثـالي بمعنـى أن ليـس لـه نظير في قيمه وتشريعاته لأنه تنزيل من رب العالمين, ولأنـه كـذلك فـإن

نتائج تطبيقه في واقع الناس يؤتى من الثمار ما لم يتحقق في ظل أي منهج أرضي أو تحت مثالية أي فكر بشري. لقد التزم الصادقون الذين طبقوا منهج الله بمبدأ كان هو الذي يحرك نفوسهم ويعبئ طاقاتهم ويوحد جهودهم و يرخصون من أجله تضحياتهم بالنفس أو بالمال: هذا المبدأ هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية وعدم إشراك أحد من خلقه معه في خاصية واحدة من خصائصها وأولى خصائص الألوهية حق الحاكمية المطلقة وبذلك يتم لهم تحقيق لا إله إلا الله في واقع الحياة وبذلك يكونوا مسلمين وبذلك يخرجون من براثن الشرك بالله وبذلك يخرجون أنفسهم من الجاهلية التي جاء الإسلام ليزيلها من الأرض تارة بالدعوة وتارة بالجهاد وبإزالتها يدخل الناس في دين الله.
فما الذي قدمه الإسلام وما الذي يمكن أن يقدمه للأجيال المعاصرة من المسلمين إن أرادوا سبيلا للخروج من الكبوات التي وقعوا فيها و الآلام التي يعانون منها والذل الذي يتجرعونه؟ كيف هدى تنزيل رب العالمين البشرية وكيف يمكن أن يهدى في أي زمن وفي أي مكان ولأي قوم متى ما عملوا به إيمانا بالله وصدقا في الإتباع وإخلاصا في النية؟
الجواب يكون بتحقيق مدلول لا اله إلا الله في واقع الأرض كما حققه وعمل من أجله وفي سبيله محمدا و الصحابة الكرام. والصفحات التالية ستبين كيف يمكن تحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله بحيث يرتفع عن الأمة الذل والهوان والتخلف العسكري والضعف الاقتصادي والاستبداد السياسي والتفكك الاجتماعي.

إدراك الغاية من خلق الإنسان.
لأي هدف خُلق الإنسان؟ لقد حاولت الكثير من الفلسفات الوضعية الإجابة على هذا السؤال ولكنها فشلت في ذلك لأنها ليس لديها الوسيلة التي تمكنها من وضع جواب مقنع للعقل الإنساني على هذا السؤال العظيم الذي حيّر الفلاسفة والمفكرين لدهور طويلة. وفي القرن التاسع عشر تحديدا وتحت تأثير النظرية التطورية عند دارون التي بدأت تغلف وتوجه الفكر البشري الذي ازداد انحرافه و تطرفه، أصبحت مثل هذه الأسئلة عن هدف خلق الإنسان ومصيره بعد الموت وكأنها من الغرائب والخرافات التي لا يُلقَ لها بالا ولا تمارس تأثيرا في العقل ولا في النفس. لقد انتهى دارون في نظريته في أصل الأنواع ثم في كتابه "تسلسل الإنسان" إلى أن ما يجري في عالم النبات والحيوان من سنن التطور الطبيعية لا بد أن يكون الإنسان قد خضع لها فهو كائن حي كغيره من الكائنات العضوية وليس هنالك ما يدعو- كما يذهب إلى ذلك دارون-

على استثنائه وإحلاله مرتبة تجري عليها سنن أخرى غير التي تتحكم فـي سواه من الكائنات.
لقـد كـانت نظريـة دارون القاعـدة الـتي تشـكل علـى أساسـها انحـراف وتطـرف الاتجاهـات الماديـة والنفعيـة و والوضـعية فـي الفكـر البشـرى الجاهلي المعاصر. فالفكر الماركسي الجاهلي الملحـد اعتـبر أن الحيـاة مادة ولذلك فإن الهدف الأساسي للإنسان فـي الحيـاة هـو أن يأكـل وأن يشرب وأن يشبع شهواته ولا هدف له فـي الحيـاة أكـبر وأهـم مـن ذلـك.
وفي ظل الرأسمالية تطورت النزعة الفردية الـتي تـرى أن الفـرد نقطـة البداية في النظام الاقتصادي وهو أيضـا غايـة النظـام ومـن ثـم يجـب أن يوجه الإنتاج إلى تحقيق خير الفرد أي حصوله على أكبر قدر من المنفعة، هذا في الصياغة الاقتصادية وفي الحيـاة العمليـة يحصـل علـى أكـبر ربـح ممكن بأقل تضحية.
وفي مجال القيم، ظهر الاضطراب تحديد في مجال الغايات التي يسـعى من أجلها الإنسان.
فتروتسكي أحـد أقطـاب الثـورة البلشـفية اليهوديـة، أحـد أكـبر الثـورات الإلحادية في التاريخ المعاصر وأشدّها عنفا، لا يرى حدودا يمكـن أن تقيـد الوسائل الموصلة للغايات. إنه يقول" إن الوسيلة يمكـن أن تـبرر بغايتهـا فقط ولكن الغاية بدورها بحاجة إلـى التـبرير. والغايـة مـن وجهـة النظـر الماركسية التي تعبر عن المصـالح التاريخيـة للبروليتاريـة، مـبررة إذا مـا كانت تؤدي على سلطة الإنسان على الطبيعة وإلغاء سلطة الإنسان على أخيه الإنسان)[1]
وفي الغرب الأمريكي العلماني، طرح جون ديوي فلسـفته النفعيـة علـى أسس عقلانية وعلمانية وعملية والتي ترى أن قيمـة أي عمـل، ولـو كـان هذا العمل خاطئا، محكوم بنتائجه التي يمكن أن يحققها. أنه يقول "أؤمن أن الغاية من ناحية نتائجها تقدم الأساس الوحيد للأفكار والعمل الخلقـي، وبذلك تقدم التبرير الوحيد الذي يمكن إيجاده للوسائل المستخدمة)[2]

إن هذا الاضطراب والفوضى في تحديد معايير السلوك السوي والسلوك الخـاطئ للإنسـان، إنمـا يعـود إلـى غيـاب المعرفـة الحقيقيـة والصـادقة والمطلقة عن الهدف من خلـق الإنسـان كمـا بيـن ذلـك التنزيـل الربـاني وهدي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. ولذلك لم يكن من الغريـب أن تزداد حدة الصراعات المهلكة بين الأمم وخصوصا فـي القـرن العشـرين

[1] ليون تروتسكي، جون ديوي، جورج نوفاك، أخلاقهم وأخلاقنا: وجهتا النظر الماركسية والليبرالية في المثل الأخلاقية. ترجمة سمير عبده، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1985، ص 48
[2] المرجع السابق، ص 81

ولا يُستغرب أن يكون القتل والتدمير تحت شعارات مزيفة (مثـل حمايـة حقوق الإنسان، أو مكافحـة الشـيوعية سـابقا أو مكافحـة الإرهـاب حاليـا وأبرز مثال على ذلك غزو أفغانستان والعـراق وقتـل الآلاف مـن الأبريـاء على يد الطاغوت المستكبر الولايات المتحدة وأعوانها مـن الفجّـار) أحـد السمات الميزة للقرن العشرين. إن حالة موت القيـم الـذي يعيـش فيـه العقل البشري والنفـس الإنسـانية قـد انعكـس ثبـورا وضـياعا فـي حيـاة البشرية. إن حالة الضياع والتيه ليست من الحالات الطارئة أو المستجدة في حياة الإنسانية، بل عانت من ذلك فترات طويلة وأحقابـا مديـدة ولـم تهتدي البشرية وتعيش السلم والاستقرار في النفس والأسرة والمجتمـع إلا مع إسلام الناس لدعوة محمد عليه الصلاة والسلام. وقد بيـن المـولى سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بيـن يـديه ولا من خلفه- أن على البشرية أن تختار منهجا واحد من اثنين: إمـا منهـج الله فهم في الأمن والسلام وإما إتباع المناهج الأرضية والأهـواء البشـرية فهم في الضلال والشقاء:
(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض ذكرى فـإن لـه معيشـة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)
وقد وقع الشقاء فعلا في حياة الإنسان عندما انشأ لنفسه أهدافا أصبحت معبودا له من دون الله رب العالمين. لقد أصبح المال والجنـس والمتعـة الحسية والرفاهية المادية الأصنام الجديدة التي فـي سـبيلهاُ يقاتـل وفـي سبيلهاُ يكدح في الحياة وفي سبيلهاَ يعتدي الإنسـان علـى أخيـه الإنسـان دون رادع أو ضابط. ويكفي للتدليل على ذلك أن ننظر فـي تاريـخ أوروبـا منذ أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواسـط القـرن العشـرين. أقـول: كيف كان تاريخها خلال هـذه الفـترة مليئـا بـالحروب الدمويـة فيمـا بينهـا أزهقـت خلالهـا الملايين مـن الأرواح. ثـم لتنقـل الـدول الأوروبيـة فتكهـا وتحرك بطشها عبر الحدود إلى دول العالم الإسـلامي لُتعمـل فـي أبنائهـا قتلا للأنفس البريئة وإفسـادا للأخلاق والأفكـار وسـلبا للأمـوال والـثروات يدفعهم في ذلك الجشع والحقد التاريخي الموروث عن الحروب الصليبية ويزين لهم ما فعلوا شياطين الإنس من اليهود المجرمين الطـامعين فـي بلاد المسلمين.
ولا هدوء ولا سلم لأمـة محمـد عليـه الصـلاة والسـلام ولاسـتقرار لهـا ولا استخلاف في الأرض إلا بـالعودة لـدين اللـه ولا اسـتقامة للأمـم الكـافرة المستكبرة الجاحدة ولا تخليص لها من الاضطرابات النفسية الـتي تعـاني منـه مجتمعاتهـا والفسـاد الأخلاقـي الـذي تشـتكي منـه والظلـم و الشـر العالمي الـذي "عـوّلمته" إلا أن تعـود أيضـا لـدين الإسـلام الـذي ارتضـاه

للعالمين لتأخذ منه التصور الطاهر والزكي عن غاية الخلق الذي به تتزكى وتستقيم. فلما خلق الله العباد؟
لقد خلق الله العباد لهدف واحد: عبادته بطاعة أوامره واجتناب نواهيه. يقول الله سبحانه وتعالى:) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات/ 56.
نعم هذا هو الهدف العظيم الذي من أجله خلق الله الإنسان وهو الهدف الذي ينبغي أن يكون في حياة كل إنسان.
إنه الهدف الذي عندما غُيّب، ضاع الإنسان وفسدت الحياة.
إنه الهدف الذي لا استقامة في حياة الإنسان إلا به
(وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) يس/61
فكيف يكون الإنسان عابدا لله رب العالمين وبذلك يستحق أن ينال رضاه وان يستخلفه في الأرض وينعم عليه بالأمن الذي فُقد من حياة المجتمعات الإنسانية نتيجة عبادة الأفكار الأرضية الجاهلية؟ لا تكون عبادة خالصة لله رب العالمين والتي بها يتحقق مدلول لا إله إلا الله إلا بتوحيده سبحانه وتعالى وعدم الإشراك به.

التوحيد لله رب العالمين.
عدم الإشراك بالله رب العالمين هو المنهج المنجي من عذابه وهو المنهج المفضي إلى استحقاق مرضاته و ثوابه في الدنيا واستحقاق ما وعد به في الآخرة من دخول جنات النعيم. وهو المنهج الذي به يحقق الله وعده لعباده الصالحين بالاستخلاف في الأرض.
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور/ 55
فكيف يحقق الإنسان الإيمان والتوحيد لنفسه وينأى بها عن الشرك والمعاصي مصدر النقمات الإلهية والشرور التي أبدعتها البشرية؟
يحقق ذلك بإتباع ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا للناس، فأتاه جبريل فقال: " ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث قال: ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال ما الإحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة؟ قال ما

المسئول بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربّها، وإذا تطاول رعاة الإبل في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة)[3] ألأية.
هذا هو الطريق الذي به نكون عباد الله المخلصين. إن أولى تلك السبل بعد الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر عبادة الله عبادةً مخلصة لا إشراك ولا ندية فيها مع رب العالمين ثم أن يتبع ذلك ببقية الأوامر التي بها يحقق العبد لنفسه صفة الإسلام.
(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) النساء /36
ولكن يا حسرة على ألباب كثير من العباد. لقد وقع في روع الكثير من العباد أن الإسلام يتحقق فقط من خلال أداء بعض العبادات مثل الصلاة والصوم وأداء الزكاة ولكنهم يشركون بالله في عبادته سبحانه تعالى وبذلك يغفلون عن المعنى الحقيقي عن الركن الأول وهو شهادة لا إله إلا لله.
وينبغي أن نكون على بينة أن قضية الشرك بالله تعالى كانت القضية الكبرى التي أفني الأنبياء أعمارهم في بيان خطرها على الإنسان وعلى سلوكه وعلى وجوده وعلى علاقاته بغيره من بني جنسه وقبل ذلك على علاقته بالله رب العالمين.
نعم هي القضية الكبرى في حياة الإنسان. فلِما أغرق الله القدير الأرض ومن عليها من الكفّار في زمن نوح عليه السلام ولما دمّر الله قوم لوط وخسف بهم خسفا مرعبا لا تتخيله الأفئدة لشدته، ولما أرسل الله الريح الشديدة المهلكة على قوم هود حتى مزّقتهم شر ممزق ولما أرسل الله الصيحة على قوم صالح ولما الغرق أولا لإمام الطواغيت والمجرمين فرعون ثم العرض على النار في الدنيا ويوم القيامة يُدخل هو وقومه أشد العذاب؟
إنه الجزاء الأوفى لأكبر جرم ارتكبته الإنسانية وأشده: الإشراك بالله رب العالمين.
تجمع لنا سورة القمر هذه الأحداث العظيمة التي وقعت لأقوام كفروا بالله فبعث إليهم الرسل الكرام يدعونهم إلى الرحمة والمغفرة والخير في الدنيا والآخرة،
ولكنهم أصروا على الحنث العظيم فكان العقاب الذي لا يرد:
(كذبت قبلهم قوم نوح فكذّبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر(9)فدعا ربه أنّى مغلوب فانتصر(10) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر(11) وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء غلى أمر قد قدر (12) وحملنه على ذات ألواح

[3] أحمد بن على بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الإيمان، ص 138

ودسر(13) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر(14) ولقد تركنهـا ايـة فهـل من مدكر (15) فكيف كان عذابي ونذر(16) ولقد يسّرنا القـرءان للـذكر فهل من مّدّكر(17) كذّبت عاد فكيف كـان عـذابي ونـذر(18) أنـا أرسـلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر(19) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر(20) فكيف كان عذابي ونذر (21) ولقد يسّرنا القراءن للذكر فهل من مّدّكر(22) كذّبت ثمود بالنذر(23) فقالوا أبشرا مّنّا واحدا نتبعـه إنا إذا لفي ضلل وسعر(24)أءلقي الذكرعليه من بيننا بل هو كذّاب أشـر(25) سيعلمون غدا من الكّذاب الأشر (26) إنّا مرسلوا الناقـة فتنـة لهـم فارتقبهم واصطبر(27) ونبّئهم أن الماء قسمة بينهم كلّ شرب محتضـر(28) فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر(29) فكيف كان عذابي ونذر(30) إنـا أرسلنا عليهم صيحة واحـدة فكـانوا كهشـيم المحتظـر(31) ولقـد يسّـرنا القرءان للـذكر فهـل مـن مّـدّكر(32) كـذّبت قـوم لـوط بالنـذر (33) إنّـا أرسلنا عليهم حاصبا إلا ءال لوط نجنيـاهم بسـحر(34) نعمـة مـن عنـدنا كذلك نجزى من شكر(35) / سورة القمر

هذه الآيـات العظيمـة وهـذه التحـذيرات المبينـة مـن رب العـالمين خـرّا، للأسف الشديد، كثير من المسلمين عليها صما وعميانـا. لقـد هـوى كـثير من المسلمين في الإيمان بقدرة أصناما مادية أو أصناما بشرية أو أصناما من الفكر والهوى. وكـثير مـن المسـلمين يسـيرون وراء هـذه الضـلالات المقيتة وكتاب الله يتلى عليهم ويسمعهم جزاء من يجـرم فيشـرك بـالله فيكون من المشركين بل ويكون من المجرمين.

أما الأصنام المادية وإن كان قد اختفـى وجودهـا إلـى حـد مـا فـي العـالم الإسلامي، إلا أن نفرا من المسلمين قد اتخـذوا مـن مـوتى القبـور ملجـأ يبثون شكواهم إليهم أو يسألونهم جلب نفع أو دفع ضر وهي بـذلك تكـون مثـل الأصـنام الـتي عبـدها العـرب فـي الجاهليـة ويرجـون منهـا الآمـال العظيمة وهي عاجزة كل العجز عن تحقيق رجـائهم وتلبيـة آمـالهم ودفـع الشرور عنهم. و ما ذا تكون النتيجة دائما؟ لقـد رجعـوا صـفر اليـدين لـم ينـالوا خيـر لأنـه لا خيـر ولا دفـع ضـر أو جلـب نفـع إلا مـن بيـده ملكـوت السموات والأرض الله الواحد القهّار.

(ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولـون هـؤلاء شـفعؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السـموات ولا فـي الأرض سـبحنه وتعالى عمّا يشركون) يونس/18

ويقول سبحانه:

(يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضـلل البعيـد (12) يدعوا لمن ضره أقـرب مـن ّنفعـه لـبئس المـولى ولـبئس العشـير/ 13) الحج.
إن الأمل والرجاء في جلب الخير وصرف الشر ينبغي أن تتجه لواحـد هـو الواحد. يقول سبحانه:
(و إذا مسّ الإنسان الضر دعانـا لجنبـه أو قائمـا أو قاعـدا أو قائمـا فلمّـا كشفنا عنه ضره مرّ كأن لمّ يدعنا إلى ضر مّسّه كـذلك زُيّـن للمسـرفين ما كانوا يعملون) يونس/12
حقيقة خالدة مادامت السموات و الأرض.
وكما ذكرنا، لئـن كـانت عبـادة الأضـرحة والقبـور والاعتقـاد فـي الأوليـاء والصـالحين قـد تراجعـت مسـاحة المـؤمنين بهـا نتيجـة جهـود الـدعاة المخلصين الذين أناروا القلـوب بهـدي التوحيـد فـإن البلاء الأعظـم الـذي أبتلـي بآثـاره المسـلمين هـو سـن التشـريعات والقـوانين الجاهليـة فـي المجـالات الاجتماعيـة والاقتصـادية والثقافيـة والسياسـية والإعلاميـة والأسرية.
إن هذه التشريعات في كافة المجالات ليست سوى تحليل أو تحريم بغير ما أنزل الله وهو الشرك الأكبر المحبط للعمل المـوجب للخلـود فـي نـار جهنم وهو ليس سوى اللون الجديد لعبادة الأهواء والأفكار.
إن الباعث الأساسي في سن تشريعات وقوانين مصدرها الفكر والتجربة البشرية هو الطموح في حدوث التقدم والتخلص من التخلف الذي ابتلـي بـه العـالم الإسـلامي دهـورا طويلـة. إن رغبـة وطمـوح المشـرّعين أو السياسيين في حدوث التقدم الاقتصادي والتطـور الاجتمـاعي والأخلاقـي والسلوكي، عبر قوانين علمانية جاهلية مُوجّهة ومُحفّزة لسلوك الإنسـان المسلم نحو مصالحه التي ترقى بوضعه النفسـي والخُلقـي-كمـا وهمـوا- ومحـددة وضـابطة للنشـاط الاقتصـادي والاجتمـاعي ومرتقيـة بـه- كمـا زعموا- قد أخذ لدى المشرعين أو الآمرين بها أو المنفذين شكل العقيـدة المؤمنة والراسـخة الـتي لا تـتزحزح بأهميـة هـذه القـوانين والتشـريعات ودورها الذي لا غنى عنه في حياة المجتمعات الإسلامية.
لقد خرج الإنسان المسلم من الصراع العالمي العنيف الذي كان محتـدما في أوائل القرن العشرين بين الدول الكبرى المستعمرة مهزومـا ضـعيفا في قواه النفسية والمعنوية بانهيار مركز الخلافة العثمانية في اسـطنبول وتقاسـم ممتلكاتهـا. وإنّ وضـع التخلـف السـلوكي والضـياع الأخلاقـي والهوان العقدي الذي كان يعاني منه لا يعالج بمزيد من التشـريعات الـتي تسهم في بقائه في براثن التخلف ومستنقعات الجهل ومن ثم تبقيـه فـي

ضياع نفسي و فكرىُ مقيم. كلاّ، لقد كان الأولى أن تعالج الأسباب التي أدت إلى الشلل في جسد الخلافة العثمانية الذي أضعف الروح الجهادية فيها وتطبيق تعاليم الإسلام مما أدى إلى سريان الجهل والضعف المعنوي والمادي في المجتمعات التي كانت تحكمها الخلافة العثمانية ومن ثم انهيارها نتيجة ضربات الغزاة المستكبرين الذين لا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمة.
نعم لقد اتخذت القوانين الجاهلية شكل العقيدة. فالقوانين هي التي تحدد الحلال والحرام والذي ينفع الأمة أو يضرها. فالأهداف العليا لدى فئة المشرعين تتمثل في التقدم الاقتصادي والارتقاء السياسي والذي يجب أن يكون على أسس علمانية لا دينية والقوانين ينبغي أن تكون معينة على تحقيق هذه الأهداف.
ولذلك جاءت التشريعات بعيدة كل البعد عن حاجة الإنسان المسلم الروحية والمادية وما يحفزه إلى العمل الصالح في أسرته أو لمجتمعه أو لأمته.
نعم لقد أسهمت القوانين الوضعية الجاهلية في مزيد من التردي بل ودفعه إلى مزيد من الغفلة والضياع وعدم الاستقرار وقذفه في أتون الجهل والفاقة. إنها النتيجة الحتمية والتي لا مفر منها لتطبيق الأهواء الضالة والتجارب المحدودة والتصورات المنحرفة التي تجسدت في القوانين التيُ عمل على تطبيقها بإيمان على أنها أهدى للأمة وأنفع لتطوير حاضرها وسد حاجاتها وإشباع متطلباتها وتأمين مستقبلها. هذه هي النتيجة المرة لحكم الجاهلية الذي ابتغوه بديلا عن حكم الله. وصدق الله العظيم الذي يقول:
(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) المائدة/ 50
جاء في مختصر تفسير الطبرى أن المقصود بحكم الجاهلية هم اليهود. وجاء في تفسير ابن كثير رحمه الله أن المقصود بحكم الجاهلية هي عموم الآراء والأهواء الضالة التي ابتدعها البشر. والدولة في العالم الإسلامي قد استلهمت من فكر اليهود وفكر البشر ما يجعل كلا التفسيرين ينطبق على واقع الأمة بكل وضوح.
من يتتبع واقع الأمة والمحاولات اليائسة التي اتبعتها الأمة الإسلامية في السنيين التي خلت سيجد أن التجارب التي خاضتها في استنهاض همم الشعوب الإسلامية وبناء طاقاتها المعنوية والأخلاقية قد آلت إلى الإحباط التام والعجز الفاضح و الانتكاس المهين. ذلك أن القاعدة التيُ بنيت عليها تجارب النهوض إنما كانت تستعين بأفكار البشر وليس بالله رب

العالمين. وهي كانت ولا زالت كذلك تقاد بأفكار المغضوب عليهم و أسوء المضللين والفاسدين والمفسدين في تاريخ الإنسانية ألا وهم اليهود.
ولنضرب الأمثال حتى تتضح الفكرة. ففي الستينيات من القرن العشرين طبقت مصر مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية و الاجتماعية على أسس اشتراكية للحد من التمايز الطبقي وهدم الاستغلال وتقريب الهوة بين الأغنياء والفقراء مما يمهد لتحرير الإنسان المصري من ثالوث الفقر والجهل والمرض ولذلك كانت قوانين الإصلاح الزراعي وقوانين التأميم من أهم الإجراءات الاقتصادية التي اتخذتها الدولة المصرية لتحقيق تلك الغايات.
وما المصدر الذي استمدت منه مصر تجربتها الاشتراكية المادية الجاهلية؟
لقد كان الاتحاد السوفيتي، الدولة الأكثر إلحادا في مسيرة التاريخ الإنساني، والمطبّق الأول لفكر ماركس و انجلز هي النموذج المُقتدى من قبل الدولة المصرية. بل وتم تفصيل معظم قوانين الدولة في تلك الفترة على أسس الاشتراكية الماركسية زعما من المشرعين والحاكمين، أن ذلك هو السبيل الأمثل لتحقيق العدالة الاجتماعية التي طالما عانى الإنسان المصري من غيابها عن واقعه الاجتماعي والاقتصادي وكذلك من أجل إيجاد بناء متكامل من النظم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تتخذ شكل العقيدة الملهمة لسياسات النهوض وتكون بديلا أكثر فعالية وتأثيرا في واقع الشعب المصرى من الإسلام دين الله الخالد.
وفي العراق وفي سوريا وفي ليبيا وفي اليمن الجنوبي سابقا وتونس والجزائر تم كذلك تطبيق الاشتراكية الماركسية. ولكن ماذا كانت النتيجة بعد عقود من الضلالات المهلكة تحت شعارات العدالة الاجتماعية والنمو الاقتصادي ومقارعة الإمبريالية؟
لقد انتهت هذه التجارب بتحطيم الإنسان المسلم وزرع الرعب والخوف في قلبه وبقاء الاستبداد واستفحال الفساد الأخلاقي وذهاب الأمن الاجتماعي والسياسي وانتشار المظالم والهزائم و النفسية والعسكرية ودُمّرت جميع الشعارات التي عُبّدت الأمة لها من دون الله رب العالمين.
فهل ترى لهذه الأفكار من باقية؟ إنها الجزاء الأوفى لمن يشرك في عبادة الله من لا ينفع ولا يضر. يقول سبحانه:
(قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم)/ المائدة/76

ونحن كمسلمين لم نستفد من توجيه الله رب العالمين لأهل الكتاب من قبلنا بعدم إتباع الأهواء الضالة فوقعنا في ما وقعوا هم فيه من اتخاذ الشركاء مع الله في العبادة:
(قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيرا وضلّوا عن سواء السبيل) المائدة/ 77
فهل الاشتراكية المؤسسة على فكر ماركس وانجلز أهدى وأنفع للأمة من كلام الله وهدي محمد عليه الصلاة والسلام؟ بئست العقول وبئست القلوب التي آمنت بالماركسية فعبدتها.
(ولقد ذر أنا لجهنم كثيرا من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءآذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأعراف/179
كيف لا يكون من آمن بفكر ماركس وانجلز ضالا وغافلا وهم يرضون به بدلا عن الإسلام. إن ربنا يقول لنا أن هوى البشر وفكر البشر وقوانين البشر جاهلية وهم يقولون إنه علم وتقدم، وربنا يقول أن قوانين البشر ضلال وهم يقولون بل و يؤمنون أنها مدنية وباعثة على الرقي والتحضر، وربنا يقول أن تطبيق القوانين البشرية خسارة وهلاك في الدنيا والآخرة وهم يقولون أن تطبيقها فيه الخير والازدهار للأمة. أي عقول هذه؟ أي بلاء ابتليت به أمة محمد عليه الصلاة والسلام؟
لنأخذ مثالا بسيطا يوضح كيف جنت القوانين الوضعية الجاهلية –كما وصفها رب العزة سبحانه وتعالى- على حياتنا الاجتماعية. لقد تم انتشار الزنا بشكل كبير في كثير من أقطار العالم الإسلامي حتى أثّر على استقرار الأسرة المسلمة في كثير من الأحيان. فما الذي جعل فاحشةً مثل فاحشة الزنا تنتشر في أمة يحّرم دينها أشد التحريم هذه الجريمة ويتوعد فاعلها بأشد العقاب؟ إنها القوانين الوضعية التي سهّلت مثل هذه الجريمة النكراء وجعلتها مقبولة لدى النفوس المريضة مشتاقة لفعلها ومتلهفة على ارتكابها.
جاء في دستور حزب البعث العربي الاشتراكي العراقى في القسم الخاص بسياسة الحزب الاجتماعية:
"المادة 38 – الأسرة والنسل والزواج
البند الأول: الأسرة خلية الأمة الأساسية وعلى الدولة حمايتها وتنميتها وإسعادها.
البند الثاني: النسل أمانة في عنق الأسرة أولا والدولة ثانيا. وعليهما العمل على تكثيره والعناية بصحته وتربيته.

البنـد الثـالث: الـزواج واجـب قـومي وعلـى الدولـة تشـجيعه وتسـهيله ومراقبته."[4]

هذه النصـوص إنمـا تشـكل بعـض الأطـر الموجهـة للسياسـة الاجتماعيـة ولتكون الأرضية التي على أساسها تصاغ القوانين في المجال الاجتماعي بما لا يتنـاقض و توجهـات البعـث العربـي. والسـؤال هـل نجـد فـي بنـود السياسة الاجتماعية للحزب أي إشارة لتحريم الزنا تلك الآفة التي خرّبت المجتمعات الإنسانية متى ما شاعت فيها؟
وجاء في قوانين بعض الدول العربية أن جريمة الزنا لا تعد فاعلته مجرمة إلا إذا وقع في بيت الزوجية وبغير رضا الزوج أو كـانت قـد اتخـذته مهنـة. وحتى إذا اتخذته مهنة فإن الفاعل لا يعـد مجرمـا بـل يـأتي شـاهدا عليـه. ونحن نقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون.
أليسـت هـذه القـوانين ممـا ييسـر ويسـهل جريمـة وفاحشـة الزنـا بيـن المسلمين، ناهيك عن وجود الكثير مـن العوامـل مثـل المراقـص الليليـة والأفلام الخليعة و التعليم المختلط والوظائف المختلطـة وسـفور المـرأة مما يهيـج فـي الإنسـان المسـلم الشـهوات وتُأججهـا و تـدفعه دفعـا إلـى ارتكاب الموبقات؟ بل وناهيك عن أن كـثيراً مـن السياسـات الاجتماعيـة التي تنتهجها الدولة العلمانية في العالم الإسـلامي تفتّـت القـوة الإيمانيـة والمعنوية للإنسان المسلم مما يجعل صموده أمام الوساوس الشـيطانية و الإغواءات البشرية ضعيفا وهزيلا.
أما الدول التي تبنت النظام الليبرالي الاقتصادي في التنمية فقد أصدرت وسنت من التشريعات الوضعية العلمانية(إمّا تشـبها بـالغرب الصـليبي أو ولاءً له أو تزلّفاً إليه أو طمعا في مرضاته) ما أدى إلى وقـوع الاضـطراب في حياة الإنسان المسلم وإكسابه خُلق الجشع والأنانيـة بـل وصـهر روح الألفة والتضامن والتعاون التي كانت ينبغي أن تسود المجتمع بل وتذويب الغيرة في قلب المؤمن بحيث يصبح السعي لطلب الكسب الحرام، مثلاً، جزء من نشاطه اليومي. فإباحة الربا فـي كـل أقطـار العـالم الإسـلامي، بكل ما فيه من التعدي على حـدود الإسـلام و بكـل مـا فيـه مـن الإضـرار بمعيشة المسلم وبالنظام الاقتصادي، أصبح لدى كثير من المسلمين أمرا مألوفا يتعاملون به من خلال ادخار المـال فـي البنـوك الربويـة مـن أجـل الحصول على الفوائد الربوية أو من خلال التعامل بالقروض الربوية فيمـا بينهم ناهيك عن أنّ النظام الربوي الـذي تـم تبنيـه مـن قبـل الدولـة فـي

[4] منير محمد نجيب، الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، مكتبة الحرمين، 1980، ص 70

العالم الإسلامي قد ساهم في زيادة مساحة القفر وأعداد الفقراء وتضييع العقلاء وتشريد النجباء وتكوين جيل من التائهين و البؤساء.
ومن أجل تشجيع نمو الاقتصاد وتحفيز السياحة المحرّمة وتوفير الوظائف أباحت بعض الدول في العالم الإسلامي فتح دور الدعارة بل واستصدار القوانين التي تبيح للمرأة امتهان الدعارة كمهنة مقبولة لا يعاقب عليها القانون بل وأن تكون مثل هذه الدور تحت حماية أجهزة الشرطة خوفا من المنكرين أو الآمرين بإزالتها لتعقيم المجتمع من أذاها وتطهيره من رجسها.
إن إباحة الحرام من خلال التشريعات البشرية مخالفة منكرة وعظيمة لشرع الله وأوامر الله ونهيه بل وهي مما يوجب سخطه وعقابه. يقول سبحانه وتعالى:
(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب) النور/64
ويقول سبحانه عن المخالفين عن أمره المتجاوزين عن شرعه والمتعدين على حدوده التي بيّنها:
(ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلّهم يرجعون) السجدة/21
ورد في تفسير هذه الآية عند ابن كثير رحمه الله ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما أن المقصود بالعذاب الأدنى هو مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه. وأقول: ما أشدّ البلاء وما أكثره الذي نعيشه في هذا الزمن. إنه وعد الله الصادق قد وقع علينا.
وتبنت الدولة في العالم الإسلامي، سياسات الخصخصة وبيع مؤسسات القطاع العام من كهرباء ومياه إلى القطاع الخاص تحت راية تحفيز النمو الاقتصادي وتقليل الركود، فما كان من نتائج هذه السياسة إلا زيادة موجات الغلاء الذي تعجز الطبقات الكادحة عن مجاراته وزيادة أعداد العاطلين عن العمل الذين تم فصلهم من المؤسسات التي كانت ملكا للدولة قبل بيعها إلى القطاع الخاص ومن ثم أصبحوا في الشوارع يبحثون عن عمل ووظيفة جديدة ونفوسهم تتألم وتبكي وأسرهم من الخصاصة والحاجة تشتكي والأسوأ من ذلك أن هذه السياسة الرعناء قد أغلقت منافذ الأمل أمام الطاقات الجديدة من المتعلمين فعمّقت بذلك معاناتهم وزادت من آلامهم وإحباطهم وباعدت بينهم وبين حب الارتباط بأوطانهم ولا يجدون من يسكّن آلآمهم أو يُلبي ولو باليسير حاجاتهم في

زمن جفّت فيه الأيادي المنفقة في سبيل الله زكاة مالها والعفو من خيراتها.
وهذه السياسة الاقتصادية التي تنادي بتحجيم دور الدولة في النشاط الاقتصادي والتنموي، إنما هي بنات أفكار رجال المال والاقتصاد اليهود في الغرب الذين أفسدوا بسياساتهم المالية والاقتصادية المجتمعات الغربية وخرّبوا من خلالها قيم الإنسان الغربي وفكّكوا وحدة المجتمع.
ومن أجل "تحرير المرأة" من الجهل والتخلف والعجز الذي تعاني منه و عدم المساواة مع الرجل، تم إصدار الكثير من التشريعات الجاهلية التي أخرجت المرأة عن الدور الذي حدده الإسلام لها وأمرها ألا تتعداه ويكفي، بكل أسىً ومرارة، أن تخرج المرأة المسلمة من منزلها سافرة لا يستطيع أحد إنكار سلوكها ولا إصلاح خطئها وما ذلك إلا تحت حماية وتشجيع القانون الوضعي.
بل وتم الترخيص لإقامة التجمعات الجاهلية من ليبرالية وماركسية تحت شعار " الارتقاء بالعملية الديموقراطية وإفساح المجال أمام التعددية الفكرية والسياسية" وسمح لها القانون الجاهلي أن تنشأ الصحف تدعو من خلالها إلى فسادها وانحلالها وإلحادها.
من الناحية الاجتماعية فإن لهذه التشريعات جنايات عظيمة. منها القبول بشيوع المنكر واستساغته وتقبله حتى يألف من قبل أفراد المجتمع ومن ثم يترك إنكاره إلا من رحمه الله فأنكر المنكر ولو بأضعف الإيمان أي بقلبه.
لقدُ سنت القوانين في العالم الإسلامي من أجل أن تكون محرّكة للتغيير والتجديد ودافعة للتقدم والتطوير. ولكن وبعد العقود التي خلت والسنوات التي انصرمت والتي بُذلت فيها جهود خاوية، وتجارب اقتصادية وسياسية شاقة ومريرة ومؤلمة وظالمة تحمّلت الشعوب الإسلامية نتائجها القاسية والمهلكة من جهدها وطاقتها ورفاهيتها وسعادتها، أقول: هل تحقق التقدم المنشود الذي سعت إليه الدولة في العالم الإسلامي؟ هل كان انهيار الخلافة العثمانية وانفراط عقدها قد أدى إلى "تحرر" الدول العربية من الخلافة العثمانية- كما زعم عصبة من المثقفين العرب العلمانيين - وأن تبني نفسها بناءً يفضي إلى الازدهار الاقتصادي والرخاء الاجتماعي والأمن النفسي والسمو الأخلاقي والرقي في عمل النظام السياسي؟ هل أدى تتبع الغرب في أنظمته الاجتماعية والاقتصادية إلى أن نصبح مثل الغرب في قوته الاقتصادية وازدهار أنشتطه التجارية والصناعية؟

كلاّ. تاالله لقد تقدم الغرب وازدادت أوضاعنا سوء. لقد أصبحت أوضاعنا –في كثير منها- لا أقول تتشابه ولكن تتماثل مع أوضاع المجتمعات الغربية النصرانية. فالخمر، أم الخبائث، تبيح التشريعات في العالم الإسلامي (إلا في قليل جدا منها مثل السعودية و الباكستان) بيعها وتصنيعها وترويجها، وكذلك الحال في الدول الغربية فما الفرق إذا بيننا وبينهم؟ والربا، أسّ الأزمات من اقتصادية وإنسانية والتفاوت المهين بين الطبقات، والجالب، وهذا هو الأهم، لحرب الله على الأمم والمجتمعات أصبح وجوده والتعامل به بندا أساسيا في الدساتير الاقتصادية للدول في العالم الإسلامي. فما الذي ميّزنا إذا عن الغرب؟ لقد أصبح الشرك بالله من خلال التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله القاسم المشترك بين دول العالم الإسلامي وبين أمم الأرض الضالة التي ارتضت بأهواء البشر وقوانين البشر بديلا عن دين الله وأصبحت العبادة ليست لله وإنما للأهداف الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية.

فعلى سبيل المثال. أضحى النمو الاقتصادي هدفا تسعى إليه الدول في العالم الإسلامي والمتقدم على حد سواء. وإذا كانت الدول المتقدمة قد سبقت في الجاهلية والشرك بالله من خلال التحليل والتحريم المدعم للسياسات الاقتصادية والاجتماعية المحفزة للنم و الاقتصادي، وكذلك فعلت الدولة في العالم الإسلامي باعتدائها على حدود الله عندما استباحة المحرمات مثل الربا وتصنيع الخمر وبيعها داخل المجتمعات الإسلامية والترخيص لبيوت الزّنا على أنها نشاطات داعمة للنهوض الاقتصادي.

في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا على عدي بن حاتم رضي الله عنه قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا اإلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمّا يشركون) فقال عدي بن حاتم (يا رسول الله لسنا نعبدهم. قال: عليه الصلاة والسلام: أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون ما حرم الله فتحرمونه. قال: بلى. قال النبي صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم)[5]

يوم أن ارتضى العلمانيون في العالم الإسلامي الفكر البشرى بديلا عن الإسلام، تبنوا أفكار اليهود ليحكموا بها الأمة وليزيدوا فيها البؤس والشقاء والضلال والبلاء والهزائم النفسية والعسكرية النكراء. نعم قادوها إلى التقدم الموهوم تحت اسم الاشتراكية و الليبرالية فكانت هذه الأنظمة الفكرية هي المعبود من دون الله لأنها اغتصبت واعتدت على

---

[5] رواه الترمذي وابن جرير

أخص خصائص ألوهية رب العالمين ألا وهو التحليل والتحريم الذي ينبغي أن يكون لله وحده من دون العالمين، ولكن كيف يمكن لفكر بشري متعفّن أنتجه اليهود وأعوانهم والصليبيين وأذنابهم أن يثمر خيرا وان ينشر فلاحا أو أن يصلح انحرافا أو أن يقوّم اعوجاجا أو أن يحي مواتا؟ وصدق الله العظيم الذي بيّن أن أي آلهة معبودة- سواء أكانت أفكارا أم أشخاصا- من دون الله أو مع الله فلا تثمر إلا الضلال:
(ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) الحج/ 31
لقد أصبحت المجتمعات في العالم الإسلامي مجتمعات جاهلية يوم أن حكمتها التشريعات والقوانين الجاهلية التي أنتجتها أهواء البشر وخبراتهم المحدودة ونظرتهم القاصرة ومصالحهم الضيّقة ومقت المشرّعين للإسلام دين الله رب العالمين. وهذه المجتمعات ستظل في الجاهلية مهما ادّعت أنها أحرزت من تقدم في الميادين الاقتصادية أو الاجتماعية أو الإنسانية.
إن أي تقدم يحدث في العالم الإسلامي في أي مجال من المجالات اقتصادية أو سياسية ما هو في الواقع إلا غمس للمجتمع وتعميق له في الجاهلية المفضية إلى البعد عن دين الله وعن عقيدته وعن شريعته. والدليل على ذلك انه على الرغم من المنجزات التي حققتها الدولة في العالم الإسلامي سواء في الميادين التعليمية أو الصناعية أو العمرانية فإن هذا التقدم لم يحقق لها سيادة في الأرض ولا احتراما بين الأمم ولا استقلال سياسي أو اقتصادي عن قوى الشر العالمية. وفي الداخل، يكفي أن ندرك ما أحدثه التطور على الأسس الجاهلية من ازدياد تفكك المجتمع وازدياد حدة الفساد في الأخلاق والسلوك والتصورات.
هنا يبرز أمر أساسي يعيننا على فهم واقع التخلف الذي تعيش فيه الأمة وكيفية الخروج منه والتخلص من آثاره. إنّ التخلف الذي تعيش فيه الأمة لم يظهر لكون هذه الأمة تعيش في مضايق مالية واقتصادية. لقد رُزقت الدول في العالم الإسلامي الأموال الكثيرة ولديها الطاقة البشرية وأراضيها تحوى بفضل الله الموارد المعدنية والطبيعة الكثيرة. فلماذا لم تستطع أن تخرج من هذه الأزمات التي تعصف بها وتذهب بأمنها وتدمر مستقبلها وتخرب واقعها وتذوب الألفة بين أفراد مجتمعها ؟
إنها الجاهلية التي هيّمنت على كل شيئ في واقع الأمة حتى آلت بها إلى بوار.
لقد جاء الإسلام ليميز هذه الأمة عن باقي الأمم الجاهلية في الأرض. جاء الإسلام ليميزها في العقيدة وفي التصورات وفي السلوك وفي النظم

التي من خلالها تدبر الأمـة شـئونها ومعاشـها. جـاء الإسـلام ليقيـم تميـزا تكون آثاره في الأرض خيرا واستقرار ورفاها على أفراد الأمـة الإسـلامية فضلا عن الطهر في الأخلاق والزكـاة فـي الأفعـال والسـيادة فـي الأرض فضلا عـن نيلهـا بـإذن اللـه القـوة والهيبـة أمـام أعـدائها المتربصـين بهـا الساعين إلى انتزاع ونهب خيراتها و الحريصين على تدمير دينها والقضـاء على مقوماتها. وبذلك تنتفي صور الصراع وتقل الأحقاد وتنتهي الشــناءن والبغضاء.

إنه واقع لا يقيمه إلا الإسلام بتميزه وخلوصه مـن النـواقص و التناقضـات والأخطاء التي ميزت الأفكار البشرية والتصورات الجاهلية لأنه ديـن اللـه الخالد ولأنه الدين المنزّل من عند العليم القدير الـذي أحـاط بكـل شـيء علما فهو-سبحانه وتعالى- أعلم بما ينفع الإنسان ويصلح حـاله ويوجـد لـه الطمأنينة ويوفر له الأمن والسلام.

ولكن كيف يمكن أن يتحقق التميز لهذه الأمة؟ كيف يمكن لهـا أن تحقـق الأمن لنفسها وتريح أفرادها من دنس الجاهلية ورجس الأهواء البشــرية؟ إنـه لا يتحقـق ذلـك إلا مـن خلال هيمنـة الشـريعة الإسـلامية علـى نظـم المجتمع وقوانين المجتمع فلا يبقى أثر لفكر أو تصور بشرى ناقص واهـن فــي صــياغة قــوانين المجتمــع أو تــوجيه أو تطــوير نظمــه الاجتماعيــة والاقتصادية.

إذا ما تم ذلك، فإن الإسلام يزيل الأسباب المؤدية للصراع ويردم العوامل المفضية إلى انتشار القطيعة وبروز الأحقاد بين أفراد المجتمع والـتي مـا وجدت إلا لانتشار الظلم وغياب العدالـة وضـياع الأمانـة وانتشـار الخيانـة بكافة أشكالها وصورها.

يقول الله سبحانه وتعالى عن بنى إسرائيل موضحا لهم أثر هجــر تطـبيق ما أنزل عليهم في التوراة والإنجيل:

(ولوا أن أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا مــن فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) المائدة /66

جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله أن المقصود بذلك كثرة الرزق النـازل عليهم من السماء والنابت لهم من الأرض.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى لأهل الكتاب:

(قل يأهل الكتاب لستم على شئ حتّى تقيموا التوارة و الإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم. الأية.) المائدة/ 86

وما حدث لبنى إسرائيل من منع الرزق الوفير والرخاء نتيجة هجر العمــل بالتوارة والإنجيل فإن نفس النتائـج سـتقع لأمـة محمـد صـلى اللـه عليـه

وسلم إذا ما هجرت العمل بكتابها وسنة نبيها. ألا وإنها قـد هجرتهمـا فعلا، ألا وقد وقعت لنا نفس النتائـج الـتي حـدثت لبنـي إسـرائيل لأن المجتمـع هيمنت عليه القوانين الجاهلية والتي بسـببها عـانت الأمـة الويـل والثبـور فأصبحت أقرب إلى عذاب الله من رحمته.
ويبين سبحانه وتعالى حقيقة عظيمة لمن فقههـا وعمـل فـي حيـاته علـى مقتضاها أو دعا أمته للعمل بما بيّنت ووضّحت وهي كذلك سنة من سـننه في الكون: أنه أثر التوحيد الخـالص للـه فـي حيـاة الأمـم المتبـع بالعمـل الصالح المبرأ من الشرك والمنزه من الكفر:
(ولو أنّ أهل القرى آمنوا واّتقوا لفتحنا عليهم بركاتّ من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) الأعراف/96

عواقب الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

القـران الكريـم والسـنة النبويـة يوضـحان عـواقب الإشـراك بـالله رب العالمين على الفرد وعلى الأمة. يقول سبحانه وتعالى:
(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومـن يشـرك بالله فقد افترى إثما عظيما) النساء/ 48
(إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومـن يُشـرك باللّه فقد ضلّ ضلالا بعيدا) النساء/116
نعم الشرك بالله افتراء عظيما عليه سبحانه وتعالى وهولا يثمـر إلا ضـلالا بعيدا. ولقد جاءت الأحـاديث النبويـة تـبين آثـار المعاصـي والشـرك علـى وحدة الأمة وقوتها وسيادتها. ومن آثار الشرك بالله (وما نقصده هنـا هـو التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله أو عبادة أحد غيره سـبحانه وتعـالى أو اللجوء إلى غيره وسؤاله العون والنصرة مستغنيا بذلك عن رب العـالمين)

- التفكك السياسي وتكالب الأمم المستكبرة والكافرة في الأرض علـى أمة محمد صلى الله عليه وسلم. يقول عليه السلام:

يقول عليه السلام: (يوشك الأمم أنَ تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلـى قصعتها فقال قائل: ومن قلـة نحـن يومئـذ ؟ قـال: بـل أنتـم يومئـذ كـثير ولكنكم غثاء كغثاء السيّل ولينزعّن الله من صدور عـدوّكم المهابـة منكـم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسـول اللـه ومـا الـوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت)[6]

[6] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المجلد الأول: القسم الأول، 1996، ص 647

- ظهـور الاسـتبداد السياسـي وتسـلط الـدول الكـافرة علـى العـالم الإسلامي والأمراض البدنية وقلة الأرزاق. يقول عليه السلام:

(يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ : لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتي يعلنـوا بهـا، إلاّ فشـا فيهـم الطـاعون و الأوجاع التي لم تكـن فـي أسـلافهم الـذين مضـوا ولـم ينقصـوا المكيـال والميزان إلا أخذوا بالسـنين وشـدّة المؤنـة وجـور السـلطان عليهـم ولـم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطـروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدّوا مـن غيرهـم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيّروا ممّـا أنزل الله ، إلا جعل الله بأسهم بينهم)[7]

- ويقول عليه الصلاة و السلام: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذنـاب البقـر ورضيتم بالزّرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سـلّط اللـه عليكـم ذلاّ لا ينزعه حتى ترجعوا على دينكم)[8]
- نسيان ألأهداف الكبرى التي خُلق الإنسان من أجلها والإقبـال علـى الدنيا.

(التكالب على الدنيا يورث الذل)[9]

- انتشـار الأمـراض النفسـية والتفكـك والخـراب الاجتمـاعي والكـوارث الطبيعية.

يقول عليه السلام سيصيب أمتي داء الأمم. فقالوا : يـا رسـول اللـه ومـا داء الأمم قال : الأشر والبطر والتكـاثر و التنـاجش فـي الـدنيا والتبـاغض حتى يكون البغي)[10]

(أمتي مرحومة ليس عليها عذاب فـي الآخـرة عـذابها فـي الـدنيا: الفتـن والزلازل والقتل)[11]

- اسـتحلال المنكـرات والمحرمـات الـتي نهـى اللـه عنهـا. يقـول عليـه السلام.

(ليستحلّنّ طائفة من أمّتى الخمر باسم يسمّونها إيّاه وفي رواية يسمّونها بغير اسمها)[12]

(ليكوننّ مـن أمـتي أقـوام يسـتحلّون الحـر والحريـر والخمـر والمعـازف ولينزلّن أقوام إلى جنب علـم يـروح عليهـم بسـارحة لهـم يـأتيهم لحاجـة

---

[7] المرجع السابق، ص 216
[8] المرجع السابق، ص 42
[9] المرجع السابق، ص 40
[10] المرجع السابق، المجلد الرابع، ص 290
[11] المرجع السابق، ص 648
[12] المرجع السابق، المجلد الأول، ص 182

فبقولون : ارجع إلينا إذا فيبيّتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة)[13]
وذكر من حديث طويل (وجاهدوا في سبيل الله تعالى القريب والبعيد في الحضر والسفر فإن الجهاد باب من أبواب الجنة لينجى الله تبارك وتعالى به الهمّ والغم)[14]ا

- شيوع التقليد والمحاكاة بين المسلمين للأمم المتكبرة والمفسدة في الأرض:

يقول عليه السلام (لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب دخلتم وحتى أحدهم لو ضاجع أمه بالطريق لفعلتم)[15]
ويبين النبي صلى الله عليه وسلم الأمم التي ستتبعُ أمتهُ سَننها. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتىّ تأخذ أمّتى بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع. فقيل:يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: ومن النّاس إلاّ أولئك)[16]
وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعنّ سنن من كان قبلكم سبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن)[17]

- حرب الله على الأمة إذ انتهكت محارمه وابتلائها بالعذاب إذا تركت الجهاد في سبيله:

يقول الله عليه تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله... الآية) البقرة. 277/278
ويقول عليه السلام (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)[18]

- ازدياد الفتن و الجرائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة و السلام قال(يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج.قالوا يا رسول الله أيّما هو؟ قال القتل القتل)[19]

---

[13] المرجع السابق، المجلد الأول، ص، 186
[14] المرجع السابق، المجلد الثاني، 274
[15] المرجع السابق، المجلد الثالث، ص 334
[16] سنن الترمذي، باب: لتركبن سنن من كان قبلكم.
[17] مرجع سابق.
[18] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المجلد السادس: القسم الأول، 1996، ص 352

[19] أحمد بن على بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب ظهور الفتن، ص 15. ج 13

- تسلط الأمة بعضها على بعض بالحرب أو بالقتال بدلا من مجاهدة أعدائها وأعداء الإسلام وعندئذ تتسلط وتتكالب عليهم الأمم الكافرة في ألأرض.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول " لمّا نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك. قال (أو من تحت أرجلكم) قال: أعوذ بوجهك. (أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هاتان أهون، أو أيسر.) [20]

وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله زوى لي الأرض. فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن امتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. واعطيت الكنزين الأحمر والأبيض. وإني سالت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة. وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم. فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد. وأنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا)[21]

وخلاصة القول: أن الإنسان المسلم عليه أن يُدرك أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه لعبادته وأن العبادة لا تتحقق إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى رب العالمين في أمر ونهى. كذلك على العباد أن يدركوا أنه ليس لأحد حق التحليل والتحريم لأن هذا شأن لله وحده لا ينازعه فيه أحد ومن حلّل أو حرّم أمرا لم يأذن به الله فقد أشرك به.

والدولة في العالم الإسلامي قد أتت من المنكرات الشركية من خلال التشريعات الوضعية التي تُحرّم وتحلل بغير ما أحلّ الله. وبذلك فتحت أبواب الشرور على الأمة ما جعلها أبعد عن مرضاة الله ونيل توفيقه ورضاه وبذلك ذاقة الويل والثبور ولم تنل عزا ولا تمكينا ولا سيادة في الأرض بسبب بعدها عن الله رب العالمين.

ولذلك فإن الالتزام بالتحليل الذي أحلّه الله والتحريم الذي حرّمه الله هو القاعدة التي بها تُنال مرضاة الله وبها يفتح كل خير وبها يُغلق كل شرعن الأمة بإذن الله.

وعندما تلتزم الأمة بحدود الله ولا تعتدي عليها تكون قد وضعت القاعدة التي تُبنى نهضة و تثمر تمكينا وتُتفتح عليها بركات السماء والأرض ويحصل السلام والتآلف الاجتماعي.

---

[20] أحمد بن على بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: أو يلبسكم شيعاً. ج 13

[21] زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ج 18

وصدق الله العظيم:
(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسـك فلا مرسـل لهـا من بعده وهو العزيز الحكيم) فاطر/2
إذا كنا قد أكدنا أنّ إتباع أوامر الله سبحانه وتعالى فيما أمـر ونهـى وحلّـل وحرّم تمثل قمة العبادة لله رب العالمين وأن مـن فعـل ذلـك فقـد أدرك تمام الإدراك، الغاية العظيمة من خلق الله للعباد، وإذن فما الـذي قـدّمه الإسلام فيما مجالات الحياة والتي من شأنها أن تبني الإنسـان المسـلم و المجتمع المسلم والدولة المسلمة لتتحقق العبادة الكاملة لله والتي مـن خلالها، أي العبادة، يتحقق للأمة الاستقرار والعزة والاستخلاف والتمكين؟ قدّم الإسلام مجموعة من التشريعات في مجالات الحياة فيها الخير وفيها البركة وفيها النجاة من الظلمات إلى النور:
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضـوانه سـبل السلام ويخرجهم مـن الظلمـات إلـى النـور بـإذنه ويهـديهم إلـى صـراط مستقيم) المائدة 15-16. وفي هذه البحث سنركز على ثلاثة منها:

في مجال السياسة
في مجال الاقتصاد
في مجال الإجتماع.

أولا: في مجال السياسة.
وضع الإسلام مجموعة من التشريعات في مجال السياسة والحكم وألزم أتباع هذا الدين و المؤمنين به أن يتّبعوها في حياتهم، وبيّن لهم أن هجرها إيمانا وتطبيقا يعنى أن يتّبع المسلم هواه وأنه بذلك يورد نفسه ومن ولي من أمر المسلمين في التهلكة في الدنيا والآخـرة. لمـاذا؟ لأنّ اللـه ربـط وأكّد أن إيمان المرء لا يتم إلا بتحكيم شرع الله.
(فلا وربك لا يؤمنون حـتى يحكّمـوك فيمـا شـجر بينهـم ثـم لا يجـدوا فـي أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء/65
ولذلك ولبناء النظام السياسي على أساس التوحيد الخالص والمـبرأ مـن الشرك الذي تلوثت به الدولة الوثنية المعاصرة في العالم الإسلامي فـإن ذلك يقتضي:

- الحكم بما أنزل الله.
- أقامة الشورى لمنع الإنفراد بالحكم والرأي والاستبداد
- إقامة العدل لمنع الظلم.

- أقامة العلاقة مع النظام الدولى على أساس التكافؤ والاعتزاز بالله ورسوله ورفض الخضوع للغرب فكريا واقتصاديا وسياسيا. وذلك لا يكون إلا ب:
- الاستعداد للجهاد في سبيل اللـه سـواء أكـان جهـاد الـدفع أو جهـاد الطلب.
- توسيد أمر الحكم والمناصب الكبرى في الدولـة إلـى مـن يسـتحق من أهل الصلاح والعلم.

الحكم بما أنزل الله.

يظن كثير من المسلمين الذين يجهلون كتاب اللـه وكـثير مـن العلمـانيين في العالم الإسلامي أن الحكم بما في كتاب الله إنما يقتصـر فقـط علـى المحاكم والقضاء في خصومات الناس. وخُيّل للكـثير كـذلك، أن الحكـم بمـا أنـزل اللـه إنمـا يقتصـر فقـط علـى إقامـة الحـدود كحـد السـرقة أو القصاص أو جلد الزاني أو الزانية أو قطع يـد السـارق. وهـذا واللـه سـوء فهم للإسلام وأمر الله ونهيه.

إن الحكم بما أنزل الله لا يقتصـر علـى هيئـة معينـة فـي المجتمـع وإنمـا يشمل جميع الهيئات ولمؤسسات في المجتمع الـتى لهـا أثـر أو تصـريف لحياة الناس. إنه يشمل نظام الحكم وكيفية إدارة وتصريف شئون الأمـة داخليا وخارجيا لضمان سلامة دينها من الفتنة ومؤثرات الأعداء ومكائدهم وكذلك من أجل مضيها في طاعة اللـه علـى مـا أمـر ونهـى. وهـو كـذلك يشمل النظام الاقتصـادي ليضـمن أن تكـون السياسـات والقواعـد الـتي يسير الاقتصاد عليها غير مخالفة لما شرع وبذلك يحصـل للنـاس الأمـن و الأمان وتنتفي صور العداء والأحقاد وهل التخبط الذي تعيش فيه الأنظمة الاقتصادية لدولة من الدول أو لأمم الأرض قاطبـة إلا بسـبب السياسـات الاقتصادية المخالفة لشرع الله؟

والحكـم بمـا أنـزل اللـه يشـمل إمضـاء الأوامـر والنـواهي الربانيـة فـي السياسات الاجتماعية بما يحقق الاستقرار والتوازن في سـلوك الإنسـان المسلم ويحقق السلم في أركان المجتمع. وعندما تكـون أوامـر الإسـلام حاكمـة لأهـداف السياسـة الاجتماعيـة ومضـامينها فـإن صـور التفكـك الاجتماعي و أسبابها ستتراجع وتقل ويحل التآلف بين أفراد المجتمع.

إن من يعدل ابتغاء مرضات الله لا يمكن أن ينحرف إلـى مسـالك الظلـم ومن يظلم لا يمكـن أن يتلمّـس سُـبل العـدل إلا أن يشـاء اللـه. إن عـدم الالتزام بشرع الله في سياسات الحكم له ثلاث أوصـاف رئيسـية حـددها القـران العظيـم: الكفـر والظلـم والفسـق. وهـذه الأوصـاف تنتـج مـن السلوكيات مـا يحيـل الأرض خرابـا وأوضـاع الشـعوب اجتماعيـا ونفسـيا

وسلوكيا بؤساً ودماراً. و الفساد الذي حلّ بالأرض خير شاهد على ذلك ولم يكن إلا نتيجة لفساد المفسدين وظلم الظالمين وكفر الكافرين. يقول المولى سبحانه وتعالى مبينا حكم من عتوا عن الحكم بما أنزل الله:

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون). المائدة/44

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). المائدة/45

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون). المائدة/47

أستصرخك أيها القارئ: انظر حولك في أي مكان كنت من بلاد المسلمين هل تجد العدل أم تجد الظلم؟ هل تجد الاستقامة وما أقلها أم تجد الفسق وما أكثره؟ ألم يصبح الظلم السمة الرئيسية لمجتمعات العالم الإسلامي؟ وحسرتاه وحسرتا. اقرأ معي ما يقول أحد الكتاب المسلمين[22] عن ظاهرة انتشار الرشوة في بلده وعجز القوانين الوضعية عن علاجها:

(وقد وصل الحال إلى أن البعض طالب بتقنين الرشوة، ما دامت قد فرضت نفسها بهذا الزخم، وتلك القوة، على المجتمع، بكافة شرائحه. لكن هذا المطلب الهزلي المنطوي على يأس جارف من إصلاح الحال، لن يجد صدى بالطبع، إلا أنه يفتح الباب أمام تساؤلات عن الهوة الواسعة بين النصوص القانونية التي سنتها مؤسسات وشرعها فقهاء والواقع الذي ينحي هذه النصوص جانبا ليفرض قوانينه الخاصة، المشبعة بالفساد والقدرة الكاسحة على الإفساد، بتسويق مبررات وذرائع، يتراكم وجودها، وتقوى حمولاتها، يوما بيوم، وسط انعدام هيبة القانون. فالثغرات تثقب غابة التشريعات التي أريد منها ضبط الواقع المصري فزادته تعقيدا، لأن الدولة تلجأ إلى سن القوانين لمجابهة مشكلات اقتصادية واجتماعية، في انحراف عن الحل الناجع، الذي يجب أن يكون اقتصاديا واجتماعيا وليس تشريعيا. والأحكام القضائية لا ينفذ أغلبها، ناهيك عن بطء العدالة. فهناك إحصائية تقول إن أكثر من خمسة ملايين قضية تم الحكم فيها، لكن الأحكام لا تزال حبيسة الأدراج، ولا يزال أصحاب الحقوق يلهثون وراء نيلها دون وجه حق.)

هذا مثال واحد فقط من الآفات الاجتماعية التي انتشرت في كافة مجتمعاتنا. ما الذي أوجد مثل هذه الظواهر في مجتمعات كان يُفترض أن تكون رائدةً للأمم ومثالاً وقدوة يسعى الآخرين للاحتذاء بها؟ إنه

[22] د. عمار علي حسن، الفساد حين يصير طريقا للتوازن الاجتماعي، جريد الشعب المصرية, 23 شوال 1424

الظلم والفسق الذي ما ترك فرصة لأحد أن يبحث عن منفذ أمل لكرامة عيش أو أن يُوجِدَ أرضية للاستقامة السلوكية والاجتماعية.
القران الكريم يقص بعضا من الأحداث والآفات التي وقعت في مجتمعات جاهلية رفضت الانقياد لدعوة التوحيد وتحكيم شرع الله فشاع فيهم الظلم والبغي والقتل و"التفاوت الطبقي" المهين وأكل أموالهم بينهم بالباطل والأعجب من ذلك، السعي الدءوب من طواغيت القوم للقضاء على دعوة التوحيد ليبقى " النظام السياسي" في مستنقع الشرك وسلوكياته الإجرامية في الأفراد والمجتمع. وسأبين بعضا من هذه الأمثلة.
1. الشرك بالله وآثاره.النموذج الأول.أكل الأموال بالباطل والإفساد في الأرض: قوم شعيب عليه الصلاة والسلام. يقص القران الكريم قصة قوم شعيب:
(وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنّى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشيائهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)هود 83-84
فما الذي كان يفعله قوم شعيب؟ كان ينقصون المكيال والميزان وترتب على ذلك فساد آخر كانوا يفعلونه وهو نتيجة لجريمة نقص المكيال والميزان: الإفساد في الأرض.
وما ذا كان جواب قومه؟ لقد قدموا استنكارهم له أن يتركوا عبادة الأوثان والشرك بالله أو أن يخضعوا سياسة المال لما أمرهم الله به:
(قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنّك لأنت الحليم الرشيد)87
وانتهى شأن قوم شعيب ولم يُزد لهم في الأجل ولا في الرخاء ولا في الرزق. وهكذا ينتهى أمر من آثر إتباع الهوى كفرا بما أنزل الله وإعراضا عنه إذ أخذتهم الصيحة كما ذكر سبحانه في سورة هود وفي الأعراف رجفة وفي الشعراء عذاب يوم الظلة. يقول ابن كثير رحمه الله: " وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها" وأقول ما الفرق بين مجرمي قوم شعيب الذين كانوا يعبدون الأوثان ويأكلون أموال الناس بالباطل، وبين من يأكل أموال المسلمين من خلال تشريعات قانونية وضعية مجرمة تبيح الربا والدعارة والفجور؟
2. النموذج الثاني: البغي والعدوان واستباحة قتل الأبرياء. المتكبرين في الأرض: فرعون نموذجا.

قصة فرعون تتكرر في القرآن الكريم ذلك أنها ارتبطت بواحد مـن أولـى العزم من الرسل ألا وهو موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسـلام. يقول الله سبحانه وتعالى عنه وعن جريمته الكـبرى معتـديا علـى ألوهيـة وربوبية رب العالمين:
(وقال فرعون يأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري) القصص/ 38
فمن كان هذا شأنه فما عساه فاعل فـي الأرض؟ يقـول سـبحانه وتعـالى عن جرائمه ضد بني اسرائيل:
(إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحى نسائهم إنه كان من المفسدين) القصص/2
ويبين الله سبحانه وتعالى عقابه الاليم في قوم فرعـون نتيجـة معاصـيهم بل وإصرارهم على المعصية ورفضهم الانقياد لدعوة التوحيد:
(ولقد أخذنا ءال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذّكّرون, فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن مّعـه ألا إنمّا طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لا يعملون) الأعراف/ 130-131
ثم يبين رب العالمين جحود هم بعدما رأوا آيات النقمة والعذاب:
(وقالوا مهما تأتينا به من ءاية لتسحرنا فما نحـن لـك بمـؤمنين، فأرسـلنا عليهـم الطوفـان والجـراد والقمّـل والضـفادع والدّم ءايـت مفصّـلت فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) الأعراف 132-133
وفي هذا الجو الوثني سياسيا وانعكاساته اجتماعيـا واقتصـاديا، تنمـو فئـة المُستّغلين الـذين يسـعون لتنميـة أمـوالهم وإكثارهـا ليتكـبروا وليـزدادوا فساد إلى فسادهم، فلا قانونا يأخذ على أيـديهم ويمنـع ظلمهـم ولا خُلقـا يوجههم إلى الخير ولا ضـمير يـوقظ غفلتهـم ولا نـورا يخرجهـم مـن قـاع الضلال. فقد كافح الطاغوت فرعون نور الهداية الربانيـة. فـي هـذا الجـو المكفهر والمفرّغ من عقيدة التوحيد يجد المفسدون والفاسقون الفرصة لينموا ظلمهم واستكبارهم وطغيانهم. و قارون لم يمنع الخير من أمـواله لو كانت عقيدة التوحيد هي التي تحكم وتوجه. يقول سبحانه وتعالى عـن قارون:
(إن قارون كان من قوم موسـى فبغـى عليهـم واتينـه مـن الكنـوز مـا إنّ مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحـب الفرحين، وابتغ فيما ءاتك الله الـدار الأخـرة ولا تنـس نصـيبك مـن الـدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفسـاد فـي الأرض إن اللـه لا يحـب المفسدين، قال إنّما أوتيته على علم عندى أولم يعلـم أن اللـه قـد أهلـك من هو أشـد منـه قـوة وأكـثر جمعـا ولا يسـئل عـن ذنـوبهم المجرمـون) القصص 76-78

ثم يبين القران الكريم عاقبة قارون الذي أعرض عن الانقياد لدعوة المرسلين و بطر النعمة واستساغ الكفر بالله:
(فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) القصص/81
إن هذا الخسف الشنيع ليس لقارون الفراعنة، وإنما هو خسف ودمار من الله على كل من اتبع خطى قارون في الماضي أو أن يكون قارونا في الحاضر أو المستقبل ولم يستجب لدعوة الرحمن الرحيم.
والقران الكريم لا يني يسرد القصص التي تبين مصير الظالمين الذين صدوا عن سبيل الله وأرادوا الحياة ومسيرة المجتمعات عوجا غير مستقيمة على سبيل الله. فقوم لوط والشذوذ في ممارسة الطاقة الفطرية للإنسان وقوم عاد وبطشهم بالأمم الضعيفة واستكبارهم في الأرض أمثلة، وكيف كانت نهاية هذه الأقوام لتقدم آية على من يفكر في التعدي على حدود الله أو التهاون فيها أو استبدالها بالهوى البشري القاصر.
ولذلك فإنه يمكن القول أن الحكم بما أنزل الله في المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية يعني تحريم كل ما حرّمه الله وتحليل ما أحلّه الله لأن ذلك فيه الضمان الأساسي لنمو المجتمع والدولة نموا سليما بعيدا عن الظلم والطغيان السياسي والانحراف والتفكك الاجتماعي.
ومن أجل أن يمضي النظام السياسي على شرع الله الحنيف ومن أجل أن تمضي الأمة في طريق الرقي والازدهار في الإطار الرباني التوحيدي فإنه ينبغي أن يكون الحكم بما أنزل الله في مجال السياسة مسندا بالشورى كما بيّنها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وذلك من أجل:

- ✓ مساعدة الحاكم في إمضاء أوامر رب العالمين ورسوله صلى الله عليه وسلم وتثبيت أركان الدين وإقامتها شاملة غير منقوصة.
- ✓ العمل على مساعدة الحاكم والحكومة على رسم السياسات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والعسكرية والجهادية طبقا لما جاء في كتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى ومما يعين الأمة على تثبيت عقيدة التوحيد الخالص حتى لا تشوبها سموم الشرك بالله رب العالمين. فإذا ما قامت الشورى بهذا الجوانب العظيمة ضمنت بعد ذلك أن تمضي الأمة في طريق العبادة لله سبحانه وتعالى.
- ✓ أن لا ينفرد الحاكم بالقرارات أو السياسات ومراقبته والأخذ على يديه أو خلعه إذا ما أظهر من سياسات أو تدابير تنقض شيئا من أساسيات الدين.

- ✓ عـون الحـاكم فـي اتخـاذ السياسـات الـتي تصـلح أحـوال المسـلمين وتجنبهم الأخطار والبلاءات.

والعدل أحد الأركان الأساسـية الـتى بهـا تُحفـظ الأمـة وينالهـا الاسـتقرار وبركـات رب العـالمين وتستأصـل جـذور الفتـن والمحـن الـتي تعصـف بالمجتمعات. هذه حقيقة يجدها كل من يراجع صفحات التاريخ في القديم والحديث, ولا يمكن الحديث أبدا عن نهضة وعز للأمة إذا افتقـدت عنصـر العدالة أو نزعته من بنائها أو من سياستها.

والنظريات المعاصرة من ليبرالية أو ماركسية لم تسـتطع عنـد التطـبيق، على الرغم من الإصلاح والتطوير المستمر لمحتواهـا، أن توجـد المجتمـع الذي يكون العدل أحد مميزاته الرئيسية. فالنظرية الماركسية قد انهارت على مستوى الفكر والدولة، بل، ووقـع الاتحـاد السـوفيتي السـابق، فـي مشاكل الفقر والجريمة بشتى أنواعها حتى أصبحت أحد المعالم الرئيسة لـه. والفكـر الليـبرالي، علـى الرغـم مـن كـل الجهـود لطلائـه وتزييـن اطروحاته في مجال الفرد وحريته والمجتمع وتنميته والدولة وتقـدمها، إلا أن حقبة العولمة وما كشفته عن آثار الرأسمالية مـن مشـاكل كالجريمـة والتفكك الأسري والانحراف والفقـر والبطالـة والنمـو الهائـل والمرعـب للمنظمـات الإجراميـة كالمافيـا وغيرهـا، قـد كشـفت زيـف الاطروحـات التنموية الغربية وتهافتها وأنها لم تعد قـادرة علـى علاج المشـكلات الـتي أوجدتها ونمّتها وفاقمتها تحت طلاء الديمقراطية و حقوق الإنسان.

إنّ العلة الرئيسية في هذا الانحدار يكمن فـي عـدم قـدرة فكـر الإنسـان علـى تحقيـق العدالـة الـتي طالمـا خـاض التجـارب المريـرة والحـروب المسـتمرة ودبّـر الثـورات للتخلـص مـن الظلـم و معـانته و الاسـتبداد وقسوته. فالنقص لا يوّلد إلا نقصـا. فالعدالـة المفقـودة فـي المجتمعـات الإنسانية اليوم لم تفرز إلا نتيجة واحدة: حدوث الاضـطرابات فـي القيـم والسلوك والمعايير حتى يصبح المنكر معروفا وسلوكا يتواصى به النـاس مما يضع أسسا لخراب المجتمعات البشرية وذهاب قوتها ووحدتها وأمنها وهذا ما يحدث اليوم فعلا.

أما العدل الذي ينشده الإسلام فهو مختلف تماما عن العدل الـذي طـوّره الفكر الإنساني. إن العدل في الإسلام قد حدد قواعده الله رب العـالمين ضمن قواعد أخرى فـي الإسـلام وأمـر المسـلمين الموحـدين الصـادقين العـاملين أن يكـون العـدل فـي النفـس والأهـل والمجتمـع أحـد الأركـان الأساسية التي بها يُنشد صلاح المجتمع وازدهاره وحيويته ببركـة مـن رب العالمين. بل وعد الله سبحانه وتعالى القائمين بالعـدل بـالثواب الجزيـل في الدنيا والآخرة. يقول سبحانه وتعالى:

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتائ ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي). النحل /90
وقال(ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتق وى) المائدة/8
وقال(يأيها الذين كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين) النساء/135
ويقول صلى الله عليه وسلم مينا عاقبة الظلم والانحراف عن طريق العدل:
(ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة) [23]
ويبين النبي صلى الله عليه وسلم أن هلاك الأمم يكون في عدم العدل بين الغني والفقير و إنصاف المظلوم من الظالم والتعامل بين الناس على حسب مكانتهم ونفوذهم و"أوضاعهم الطبقية".
(عن عروة عن عائشة أنّ أسامة كلم النبي صلى الله عليه و سلم في امرأة فقال إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف والذي نفسي بيده ل و أن فاطمة بنت محمد فعلت لقطعت يدها)[24].
ويقول عليه السلام(سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم إمام عادل)[25]
ويقول عليه السلام(إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)[26]
إذا نتبين من ذلك أن العدل أصل من الأصول التي يقوم عليه الدين وتقام به الدّنيا ويمضي بها في طريق الرقي والازدهار.
لا ريب إذن، أنّ الذي أدّى إلى وجود المشكلات التي نعاني منها في مجتمعات الأمة الإسلامية التي بُنيت على أسس ماركسية حيناً من الدهر وعلى أسس رأسمالية أحيانا أخرى، هو افتقاد العدل من التوجهات التنموية العلمانية الجائرة الظالمة، وهذا جانب أساسي لا يمكن أن نغفله ونحن نناقش مشكلات التخلف الذي أصاب العالم الإسلامي.
أمّا ما يجعل العدل مفقودا ومُفتقدا من حياة المسلمين فيكمن في الجوانب التالية:

---

[23] زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضيلة الإمام العدل وعقوبة الجائر ، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج 12
[24] رواه البخاري. كتاب الحدود
[25]
[26] زكريا يحي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، باب فضيلة الإمام العدل وعقوبة الجائر ، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج 12

- طاعة وكلاء الدول الغربية في بلادنا من حكّام المسلمين لأوامر الغرب الصليبي مما يوقعهم في صدامات مباشرة مع شعوب العالم الإسلامي تفضي إلى مذابح وقمع وتعذيب وهذا يجعل الدولة العلمانية في العالم الإسلامي في حالة عداء مع شعوبها ويجعلها واقعة في ظلم واضطهاد لهذه الشعوب وهنا تتكون حالة الظالم الذي هو الدولة والمظلوم الذي هو الشعوب البريئة المغلوبة على أمرها وهنا تتمزق وتنهار القواعد الأخلاقية والسياسية التي يمكن أن تنهض بأمة قوية مزدهرة. وإذا لم تفعل الدولة العلمانية ذلك وتطيع أوامر الغرب المجرم طاعة عمياء، فإن الدعم الاقتصادي والسياسي الذي تتلقاه منه والذي يطيل من بقائها ويبني قوتها و يعزز تسلطها لن يستمر وسيلغى.
- بناء التنمية وتوجيهها على أسس اقتصادية بحتة يكون النمو الاقتصادي أحد أهدافها الأساسية وبعيدا عن أي أهداف إنسانية أو أخلاقية.ولكن هذه التوجهات التنموية الغربية المطبقة في بلاد المسلمين قد أحدثت من الفساد وغياب العدالة الاجتماعية ما أوقع العالم الإسلامي في مزيد من الخراب الاجتماعي والأخلاقي ولا عماد لأمة يمكن أن يقيم نهضتها إذا ما تآكل وفسد نظامها الاجتماعي والأخلاقي.

ويبقى الإسلام بشموله ورحمته. لقد جعل الإسلام العدل أصل من أصوله التي بها ينهض بها الإسلام ويعلو والذي به يمكن أن تقوى المجتمعات الإسلامية وتسود وأن ينتشر السلام والإخاء بين الأفراد.

ولذلك كلما نشدت الأمة الإسلامية مزيدا من الإصلاح لأوضاعها فعليها أن تجعل العدل على أسس إسلامية مستمدة من الكتاب والسنة أحد الأعمدة الرئيسة في خططها سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية. وبغير إعادة هذا الأصل العظيم الذي منه تُنال بركة ومرضاة رب العالمين ورحمته إلى السياسة الهادفة إلى نهضة المجتمع وعزته فلن يكون في المجتمع استقرار ولا أمان ولا سلام ولا ازدهار. وكتاب ربنا يخبرنا بذلك:

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا)

والفاروق عمر رضي الله عنه عدل بين الرعية فنهض بالأمة نهضة استطاعت أن تسقط الإمبراطوريات الوثنية الفاسدة. إنه يقول لعماله: اتقوا الله فإنّا لا نؤمركم على دماء المسلمين ولا على أموالهم ولا على أبشارهم ولا أعراضهم ولكن نؤمرّكم لتصلوا بهم الصلاة لوقتها وتجاهدوا

بهم على عـدوهم وتقضـوا بهـم بينهـم بـالحق وتقسـموا بينهـم بالعـدل لا تضربوا العرب فتذلوهم ولا تمنعوهم حقهم فتحرموهم"
ويقول الماوردي في "نصيحة الملوك" عن فضائل العدل وأثره على قوة المجتمع والدولة: (ومما يجب أن يكـون معلومـا أنّ زينـة الملـك بصـلاح الرعية، والرعية كلما كانت أغنى وأثرى وأجلَّ حالا في دين ودنيا ومملكته كلما كانت أعمر وأوسع كان الملك أعظم سلطانا وأجلّ شأنا وكلما كانت أوضع حالا وأخس بالاً كان الملك أخسّ مملكة وأنزر دَخلاً وأقلّ فخراً)[27]
والإسلام لا يقدم تصوره العظيـم عـن عناصـر بنـاء الأمـة ألإسـلامية مـن الداخل فقط ولكن يرسم لها الطريق ويبن لهـا بجلاء كيفيـة التعامـل مـع الأمم الأخرى بل ويعتبر أن العلاقات مع الأمم ألأخرى ليست شأنا عـابرا، وإنما هي قضية إيمان بالله أو كفر به وارتباط صادق مخلـص بشـرع اللـه أو انحراف عنه والرجاء في ما عند الله من بركة علـى الأمـة ورحمـة بهـا في الدنيا والآخرة أو ركون إلى الدنيا والاغترار بزخرفها وبريقها والسؤال الهذه الدرجة عظّم الإسلام شأن التعامل مع ألأمم الأخرى وجعـل نوعيـة التعامل معهم محكًّا يبين درجة الإيمان بالله وعمـق هـذا الايمـان؟ نقـول نعم إذ الواقع الذي آلت إليه الأمة نتيجة لتعاملهـا مـع الغـرب تعامـل تـابع (العالم الإسلامي) بمتبوع (العالم الغربي) يبين صدق ما بينـه اللـه تعـالى منذ 1400 عام.
لقد بيّنـا بجلاء فـي الفصـل الأول والـذي خصـص عـن الأزمـة الاقتصـادية والسياسية فـي العـالم الإسـلامي أن الغـرب الصـليبي والشـرق الملحـد تسببا في إحداث أزمات عاصفة وقاسية للعالم الإسـلامي ولا يـزال. ومـا من طامة ولا مصيبة تحيـق بالمسـلمين إلا وللغـرب الكـافر الفـاجر ذراع فيها.
العلمـانيون يقولـون لأصـحاب الخـط الإسـلامي إنكـم موهمـون بنظريـة المؤامرة.
ولكننا، نقول لهم بأننا متبعون والحمد الله لكتاب الله الكريـم وسـنة نـبيه المصطفي عليه أفضل الصلاة والسلام وأننا مؤمنون كل الإيمان بما جـاء في الذكر الحكيم وأحاديث المصطفى عـن مكائـد أهـل الكتـاب والكفـار والمشركين لأتباع عقيدة التوحيد الخالدة.
ولكي نوضح أثر العلاقة مع الأمم الكافرة على أوضـاع المسـلمين ينبغـي أن نطرح سؤالين رئيسيين ليكون مدخلنا لتوضيح هذا الأثر العظيم الــذي أفسـد عقائـد المسـلمين وأوهـن أوضـاعهم وأضـرّ بحاضـرهم و أظلـم مستقبلهم: أولاً هل العلاقات السياسية بين الدولة العلمانيـة فـي العـالم

[27] أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، بغداد، وزارة الثقافة و الإعلام، 1986، ص 357.

الإسلامي و الأمم المستكبرة قائمة على أساس العزة و التكافؤ أم على أساس الذل والخضوع والهوان والخنوع؟ ثانيا: ما الذي أمر الله به الأمة الإسلامية في تعاملاتها وعلاقاتها الدولية ونهاها عنه؟

إن الإجابة عن هذين السؤالين ستبين بجلاء البون الواسع والفرق الهائل بين أوامر الله ونهيه للأمة الإسلامية في كيفية التعامل مع أمم الأرض قاطبة والتي ثمرتها السيادة والخير والاستقرار، وبين سياسة الأهواء القاصرة والتعاملات المفرّطة بالدين والقيم والأخلاق التي اتبعتها الدولة العلمانية في العالم الإسلامي مع أمم الأرض والنتائج المؤسفة والأليمة التي حاقت بالشعوب الإسلامية نتيجة هذه السياسات.

للإجابة على السؤال الأول، فإن الدولة العلمانية في العالم الإسلامي أصبحت في وضع المُذل والمهان في علاقاتها مع العالم الغربي وذلك لسبب رئيسي هو: السعي المستمر للحصول على الدعم السياسي الدولي والاقتصادي والعسكري الذي يمكّن الزمر الحاكمة من البقاء والاستمرار في الحكم.وهذا السعي المستمر منذ قرنين من الزمن لم ينفصل عن الجهود الخبيثة التي تُبذل لسلخ الأمة عن قيمها وأخلاقها الإسلامية تحت مسميات تحديث القيم والفكر والسلوك على مستوى الحكم والشعب لإحداث مزيد من التفكك السياسي والاجتماعي يمنع عودة الروح الإيمانية والوحدة السياسية في هيئة الخلافة الإسلامية.

فهل يتفق هذا الوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية مع أوامر الله سبحانه وتعالى؟

قبل الإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نثبت بعض الحقائق عن الدول الغربية في تعاملاتها مع أمم الأرض عامة ومع الأمة الإسلامية خاصة:

- أنها لا تقيم وزنا للأخلاق والقيم ولا استقرار الشعوب ولا رفاهيتهم أبدا. هنالك هدف واحد فقط ولا شيء سواه: المصلحة الاقتصادية والسياسية. وعبارة اللورد بالمرستون السياسي الإنجليزي واضحة صريحة عندما قال في بدايات القرن العشرين: ليس هناك أصدقاء دائمون أو أعداء دائمون، هنالك مصلحة دائمة. وقال نيكسون رئيس الولايات المتحدة الأسبق:" ....وأن نتوخّى الحذر فلا ننظر لهذه الدولة أو تلك عدوة لنا إلا إذا تبنت هذه الدولة أو تلك سياسات تهدّد المصالح الأمريكية"[28]. ،إنها المصالح ولا شيء آخر غير المصالح.
- أن اليهود، أعداء الله والدين والإنسانية، يهيمون على كثير من الحكومات الغربية أو يديرونها من وراء الكواليس. وهذه الشرذمة ليس لها إلا هما واحدا: الحصول على المال بالوسائل المباحة وغير

[28] ريتشارد نيكسون: ما وراء السلام؟ ترجمة مالك عباس، ص 83

المباحة سواء من الشعوب الذين يقيمون بين ظهرانيهم أو من أمم الأرض وذلك من خلال إثارة الحروب العالمية أو الحروب الإقليمية أو تدبير الانقلابات ومن ثم حدوث الاضطرابات وذهاب الأمن والاستقرار من المجتمعات وتفكك العلاقات ودمار المجتمعات وهذا أمنية اليهود التي يسعون إلى تحققها حقدا منهم وكيدا في الإنسانية. وصدق الله العظيم فيهم: (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) المائدة/64. ويقول العليم سبحانه وتعالى (فبما نقضهم مّيثاقهم لعنّهم وجعلنا قلوبهم قاسية ...الأية) المائدة/ 13 ويكفي أن نعلم أن الواحد القهّار قد وصف هذه الفئة من البشر بالشر ولعنها وغضب عليها وخسفها إلى قردة وخنازير.

- أن الخراب الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي للمجتمعات الإنسانية يعتبر من الأهداف الأساسية و الاستراتيجية للدول الغربية. إنها (أي الدول الغربية) بذلك تستطيع نقل قيمها وأخلاقها إلى مجتمعات الأرض وبثها وكذلك تسيير سبل الفساد فيها ومن ثم السيطرة عليها بعد إضعافها وجعلها خاضعة للقوى المستكبرة في الأرض وبذلك تضمن الدول الكبرى تفوقها وسيطرتها. ويتولى صندوق الدولي كبَرَ إشعال الحرائق الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية في حق المجتمعات الإنسانية في الدول النامية تحت مسميات الإصلاح الاقتصادي والارتقاء الاجتماعي، وما انتشار الفقر والجريمة والتدهور الاجتماعي إلا أحد النتائج السيئة لسياسات الصندوق: أداة الغرب الكبرى لإضعاف طاقات الأمم والشعوب[29]. وصدق الله العظيم فيهم إذ يقول سبحانه وتعالى(ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) الأحقاف/ 20. هذا هو الوعيد الذي ينتظرهم في الآخرة.أما عن سلوكهم في الدنيا وطغيانهم فقد صوره القران العظيم أدق تصوير وهو لا ينطبق على كفّار القرن العشرين فقط وإنما هو وصف للكفرة في الماضي والحاضر والمستقبل.

يقول الله فيهم (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخسرون) البقرة/ 27 وكذلك هنالك عدة حقائق عن نظرة الكفّار من النصارى واليهود والمشركين ومشاعرهم تجاه المسلمين ينبغي أن نبيّنها:

---

[29] ننصح القارئ الكريم بالرجوع إلى الكتاب القيم " الآثار الاجتماعية للعولمة" ترجمة عمران أبوحجلة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997. هذا الكتاب يبين ما فعله صندوق النقد من خراب اجتماعي وسلوكي في المجتمعات البشرية من خلال سياساته التي يدّعي أنها لإصلاح الاقتصاد وتحقيق التقدم.

أن الـدول الغربيـة لا يمكـن أن تُظهـر أي مـودة أو رضـاً تجـاه العـالم الإسلامي إلا إذا اتبّع مناهج الكفّـار فـي السياسـة والاقتصـاد والأخلاق. والحصار العالمي ضد حركـة طالبـان والسـودان عنـدما أعلنتـا تحكيـم الشريعة الإسلامية أمثلة بارزة على ذلك.

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر وصدق الله العظيم:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من اللـه مـن ولي ولا نصير) البقرة /120 .

والعداوة مـن الغـرب للمسـلمين ليسـت وليـدة اللحظـة وإنمـا هـو حقـد تاريخي متراكم يتوارثه القوم وهـو كـذلك ممتـد فـي الزمـان لا يـزول ولا يهدأ وهو كذلك وضع نفسي تغذيه دائما وأبدا الحسد والرغبـة فـي إطفـاء نور الله.

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) التوبة/ 32 ويقول سبحانه وتعالى:

(إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسـنتهم بالسـوء وودوا لو تكفرون) الممتحنة/ 2

أما الحقد التاريخي المتوارث في نفوس القوم فعبارة اللورد اللنـبي بعـد احتلال فلسطين ووقوفه أمام قبر بطل الإسلام وقـاهر الصـليبيين صـلاح الدين وقوله:" الآن انتهت الحروب الصليبية يا صـلاح الـدين" لتـبين بجلاء المخزون النفسي من الأحقاد والكراهية الذي لم يتغير ولن يتغير. ويقول غوستاف لوبون" لقد تجمعت العقد الموروثة، عقـد التعصـب الـتي نـدين بها ضـد الإسـلام ورجـاله، وتراكمـت خلال قـرون سـحيقة حـتى أصـبحت ضمن تركيبنا العضوي"[30] اعتراف قوي بالمشاعر ضد الإسلام فهل هنـاك من ينكر؟

أنهـم لـن يتوقفـوا عـن قتـال المسـلمين وتكـوين الأحلاف العسـكرية والسياسية من أجل النيل منهم.

يقول سبحانه وتعالى(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكـم عـن دينكـم إن استطاعوا....الآية) البقرة/ 217

إذا فنحن أمام ثلاثة مواقف رئيسية من الغرب تجاه العالم الإسلامي:

الحقد والكراهية، محاربة الإسلام والمسلمين والاستمرار بشكل علني أو خفي في قتال المسلمين:

من أجل صدّهم عن دينهم.

---

[30] وجهة العالم الإسلامي، ص 38

ومن أجل أن لا يرجع الإسلام مهيمنا فيقيم العدل وينفي الظلـم والفسـاد من الأرض ويدك حصون الطواغيت في الشرق والغرب.
والتاريخ والواقع يثبت ما بيّنه كتاب ربنـا سـبحانه وتعـالى. والأدلـة كـثيرة وسنسوق بعضها لنثبت حقد القـوم وتـآمرهم ضـد الإسـلام والمسـلمين. لنبدأ من التاريخ ففيه العظة والعبرة لمن أراد أن يستفيد أو يتعظ.
فعندما استطاعت الدولـة العثمانيـة أن تهيمـن علـى بلاد المسـلمين بعـد التفكك السياسي والتشرذم الذي أصاب بلاد المسلمين، بدأت أوروبا في التفكير لصد المسلمين العثمانيين عنها، فتقدم الكثير من مثقفـي أوروبـا بالخطط والمشاريع لإضعاف الدولة الثمانيـة وتقطيـع أوصـالها واسـتلاب خيراتها.
وقـد ظهـرت هـذه المشـاريع فـي كتـاب "مئـة مشـروع لتقسـيم الدولـة العثمانية"[31] لمؤلفه (ت.ج.دجوفـارا) وقـد لخّصـه وصـاغه الأميـر شـكيب أرسلان رحمه الله رحمة واسعة.
ماالذي يعنينا من هذه المشاريع والتي استغرقت الفترة الممتدة ما بين (1281-1913)؟
إنّ أي قراءة متأنية لهذه الأفكار سيجد لا محالة أن "الحـرب الصـليبية" " و "الاحتلال لبلاد المسلمين" تشكل العصب الرئيس فـي هـذه المشـاريع الصليبية الحاقدة.
وقد فعل الصليبيين ما بوسعهم لقتال المسلمين واستمروا فـي حروبهـم ضد المسلمين العثمـانيين. يقـول دجوفـارا: " مـدة سـتة قـرون متتابعـة كانت الشعوب المسيحية تهاجم الدولة العثمانيـة، وكـان الـوزراء ورجـال السياسة وأصحاب القلم يهيئون برامج تقسيم هـذه السـلطنة كمـا تقـدم وصف كل برنامج بعينه مما يناهز مئة"[32]
والحرب على الإسلام والمسلمين لا زالت مستمرة.
يقول نيكسـون" إن العـالم الإسـلامي يشـكل واحـد مـن أكـبر التحـديات لسياسة الولايات المتحدة الخارجية في القرن الحادي والعشرين"[33]
وإذا كان نيكسون يتوقع أن يكون العالم الإسلامي أحد التحديات فإن أحد رؤساء الولايات المتحـدة سـيخوض حربيـن كـبيرتين فـي بلاد المسـلمين يهلـك فيهمـا الحـرث والنسـل وتحـت رايـة الصـليب كمـا فعـل أجـداده الصليبيين من قبله.

---

[31] التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي؟ تعليقات الأمير شكيب أرسلان على مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية, علق عليه وهذبه وقدم له محمد العبده ، بيروت، دار ابن حزم، 1995
[32] مرجع سابق، ص 192
[33] ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، ترجمة : احمد صدقي مراد، دار الهلال، ص 146

قال بوش بعد انتصارات الحادي عشر من سبتمبر " إن هذه حربا صليبية"
وقد حاول الكثير الاعتذار عن كلمته ولأنها زلة لسان لم يكن يقصدها. ولكنه عاد ليذكرها ويؤكدها إذ قال خلال حديثه إلى الجنود الكنديين الذين سارعوا للالتحاق بالقوات الأمريكية الذين كانوا يستعدون للحرب على أفغانستان أن "هؤلاء وقفوا إلى جانبنا في هذه الحملة الصليبية الهامة للدفاع عن الحرية"[34]
ثم أكّد حقده الصليبي وأظهره بشكل جلي في خطابه أمام الكونجرس وما ينوي فعله في الشعب الأفغاني المسلم من تحويل نمط حياته وتغييرها لتكون على النمط الغربي المنحلّ. يقول في خطابه أمام الكونجرس بتاريخ 29/1/2002:
(سنحلق لحى رجالهم وننزع حجاب نسائهم وسندخل أفلام الجنس إلى غرف نومهم)
(وعلى الرغم من أن الحرب في أفغانستان توشك على نهايتها فإن أمامنا طريقا طويلا ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي ومسلم مجردا م ن السلاح وحليق الوجه وغير متدين ومسالم ومحب لأمريكا ولا يغطي وجه امرأته نقاب.
إنني مصمم على استخدام جميع مواردنا لتحقيق ذلك قبل انتخابي لفترة رئاسية ثانية
إنني أمل أن أكون قد حافظت على إرث آل بوش حيا بمحاربة العرب والمسلمين طيلة عشر سنوات لضمان استمرار الفوضى في بلادهم. ولن يجبرنا ملك أو أمير عربيي نفطي على تحسين كفاية وقود سياراتنا المتطورة وهذا لن يحدث وأنا رئيس للولايات المتحدة وعلى العكس سيطرّون لزيادة الإنتاج وتخفيض الأسعار)[35]
هذه نماذج من أحقاد القوم وكراهيتهم للإسلام والمسلمين ومحاولاتهم لصد المسلمين عن دينهم.
وعلى الرغم من كل هذه الأحقاد على أمة محمد عليه الصلاة والسلام وعلى الرغم من كفر الغرب وشروره وإشاعته الفسق والفساد والقتل والجريمة واستباحة حقوق الشعوب ليحتفظ بسلطانه وهيمنته[36]، إلا أن

[34] هذه العبارة أوردها الصحفي البريطاني المعروف بوقوفه بجانب القضايا العربية روبرت فيسك في مقال له " لنتخلص من الحملة الصليبية " وقد ترجمت هذا المقال المهم ونشرته جريدة الشعب المصرية بتاريخ 1/3/2002

[35] نقلا عن كتاب " دروس وتأملات في الحروب الصليبية" للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس. وقد أورد مقتطفات من خطاب جورج بوش الذي ترجمته جريد الخليج الصادرة في الإمارات العربية المتحدة.

[36] يمكن للقارئ الكريم أن يعود إلى كتاب المفكر الفرنسي روجيه غارودي: أمريكا طليعة الانحطاط، القاهرة دار الشروق

الدولة العلمانية الجاهلية في العالم الإسلامي-لا وفقها الله- قد مضت في سياسة التقرب والانضواء تحت لواء الغرب متجاهلة العواقب التي يمكن تحيق بالأمة الإسلامية نتيجة لهذه السياسة وقد وقعت فعلا أسوء نتيجة: ذل وهوان وانبطاح تجاه الغرب ليس له مثيل وأصبحت الأمة الإسلامية مرتعا لأكلة الخنزير وحملة الصليب[37]. وهذا هو الجواب على السؤال الأول الذي طرحناه.

نأتي عل السؤال الثاني، ما الذي أمر الله به المسلمين ونهاهم عنه في علاقاتهم بأمم الأرض وخاصة اليهود والنصارى والمشركين؟

الأوامر والنواهي الربانية في هذا المجال المهم لبقاء المسلمين على دينهم من غير فتنة من الكافرين، عظيمة وعظيمة جدا لأنها من المولى عزّ وجل المحيط بكل شيء والمطلّع على كل شيء والعليم بكل شيء. (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) سبحانه سبحانه.

ويقول سبحانه عن علمه المطلق الشامل بأعداء أتباع التوحيد:

(والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) النساء/45

أولا: أن علاقات المسلمين بغيرهم من أمم الأرض عندما لا تقوم على مبدأ الاعتزاز بالله وبالرسول لا بد وأن تورث المسلمين هوانا في تطبيق دينهم ومن ثم اتباع وطاعة لملل الكفر وشرائع الطاغوت وهذا هو الخسران المبين. يقول سبحانه وتعالى:

(يأيها الذين أمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) آل عمران/100

(يأيها الذين امنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خسرين، بل الله مولكم وهو خير النصرين) آل عمران 149/150

ثانيا: أن الكفّار لا يمكن أن يهبوا المسلمين عزة وسؤددا في هذه الحياة ذلك أنّ كراهية الكفر والشرك لعقيدة التوحيد وهو كره سرمدي باق ما بقيت السماوات والأرض، هو الحائل والسد المنيع أن يَرِقَّ أهل الكفر بالمسلمين اقتصاديا واجتماعيا و سياسيا. يقول سبحانه عزَّ من قائل:

(قل يأيها الكتاب هل تنقمون منّا إلّا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) المائدة/ 59

ويقول سبحانه وتعالى مبينا مصدر العزة وممن ينبغي أن تُنالَ: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن لله العزة جميعا)/139

---

[37] خذ مثلا على ذلك استغلال الأراضي الباكستانية للانطلاق وتدمير الإمارة الإسلامية في أفغانستان (حركة طالبان) .وقدّمت كذلك الدولة الرافضية في إيران الكثير من المساعدات لأمريكا من أجل تدمير طالبان. يفعل الرافضة كل هذه الخيانات وهي تدّعي التمسك بالإسلام ومحاربة أمريكا. إنه إسلام الخميني وعبدالله بن سبأ. مثال آخر، تتواجد القوات الأمريكية في كل من مصر والأردن وبعض الأراضي في الجزيرة العربية واستغلال هذه الأراضي لشن العدوان على الشعب العراقي المظلوم تحت ذريعة أسلحة الدمار الشامل.

ثالثا: وإذا ما وقعت موالاة من المسلمين للكافرين كاتخاذهم، أي الكفّار، أصدقاء و مناصحتهم وإسرار المودة إليهم كما ذكر ابن كثير في تفسيره فماذا يمكن أن تكون النتيجة؟ هنا تحدث أسوء طامة: التعرض لغضب الله ونقمته وهو المقصود بالسلطان المبين[38].
(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)النساء/ 144
وهاهي الدولة العلمانية في العالم الإسلامي قد استغنت عن الله وعن دينه، واعتزت بالروم في أمريكا وأوروبا واتخذتهم أولياء من دون المؤمنين (الذين ألقت بهم في السجون وقتلتهم وعذّبتهم) فهل منحوها عزةً وتقدما؟
ثم إنّ الله بين حكمَ من يواليهم ويتخذهم "حلفاء استراتيجيين" كما صرحت بذلك بعض الطُغم في بلاد المسلمين:
يقول سبحانه وتعالى(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين)المائدة/51
نعم إنه منهم أي من صف الكفّار وليس من فريق المؤمنين الذين جعلوا الله مولاهم وهو خير الناصرين.
رابعا: أنّ الله سبحانه وتعالى بيّن للأمة من هم أعدائها ولذا يجب التبرأ منهم وإظهار العداوة لهم:
(لتجدّن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..ألآية) المائدة/82
(يأيها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتب من قبلكم والكّفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) المائدة/ 57
خامسا: أنّ الله سبحانه وتعالى قد أوضح للمسلمين حقيقة خالدة عن الكافرين: أنهم يتحالفون ويتعاونون فيما بينهم ويبدوا تعاونهم وتساندهم لنصرة بعضهم بعضا في هيئة الأحلاف السياسية والعسكرية والاقتصادية. والمسلمون إن لم يتعاونوا مع بعضهم وينصروا الله ودينه كما أمرهم فإن غلبة الكفر لا محالة ستقع و الفساد في الأرض لا بد أن ينتشر والفتن لا بد أن تعمّ:
(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) الأنفال/73.
وقد وقع ما حذرنا الله رب العالمين منه. إن غياب دين التوحيد عن حكم الأرض قد أتاح للطواغيت وأرباب السوء والباطل أن ينشروا فسقهم

---

[38] سيد قطب، في ظلال القران،ج 2 ، القاهرة، دار الشروق، 1994

وفسادهم في الأرض بل وليتخذ الباطل والعفن في الأخلاق ستار له يسميه أهل الكفر حقوق الإنسان وأنه، أي الباطل، نتاج تطور المدنية وتقدم النظرة الإنسانية للحياة وأنه لا يمكن أن يوقف مدّ الباطل، ُخلقٌ أساسه التنزيل ولا خوف من الجليل سبحانه وتعالى عمّا يُشركون.
ثم إن باطل الغرب وفسقه لم يتوقف عند الحدود الجغرافية للغرب بل سعوا بكل جهد إلى تعميمه في العالم الإسلامي سعيا منهم لتقويض أساسه الاجتماعي والأخلاقي الذي بُني على قواعد الإسلام. ومؤتمر السكان الذي عقد بالقاهرة في 1995 والذي دعا إلى إباحة زواج الشذوذ والعلاقات الجنسية في المجتمعات الإسلامية لدليل قاطع على مدى تبجح الباطل واستكباره والفساد الكبير الذي غشى الأرض نتيجة محاربة فراعنة العصر لعقيدة التوحيد وإصرارهم على استبدال الحق بالباطل والهدى بالضلال.
سادسا: وإذا ما علمنا مما بيّناه عداوة الكافرين من النصارى واليهود والمشركين، فإن ربنا سبحانه وتعالى بيّن أنهم إن ظهروا على المسلمين فإنهم يرتكبون فيهم من الأفعال الوحشية المرعبة مالا تفعله السباع- المجردة من العقل- في فرائسها.
(كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) التوبة/7
إنها طبائع الكفر وسلوك الكافرين الذين أعميت أبصارهم وماتت أفئدتهم.
لقد خاطب الله سبحانه وتعالى المسلمون بهذه الآيات فكان يوجههم ويرشدهم ويحذرهم من الكافرين، ويبين لهم شررهم وخطرهم على وجودهم وتآمرهم الذي لا ينقطع على عقيدتهم وعلى دينهم.
وقد تغير الزمن وتغير الواقع المادي الذي تعيشه الإنسانية وتغيرت الأهداف التي من أجلها تتواصل الإنسانية وتتعارف. ولكن عداء الصليبيين للأمة الإسلامية لم ينقطع ولم يتغير وبقيت روح النفاق سائدة في تعاملهم مع المسلمين. وإذا كان أوج الغرب الصناعي والثقافي قد مكّنه من تسيّد العالم وادّعى شعارات لتزيين حضارته، إلا أنه ظل يكيل في الإسلام وأهله وأرضه وينسى شعاراته البرّاقة ويسقطها عندما يكون التعامل مع المسلمين.
فمن ذا الذي يعين على قتل المسلمين في فلسطين، ومن الذي قتل إخواننا في أفغانستان والعراق وتسبب في قتل مليون ونصف المليون من شعبه نتيجة الحصار الاقتصادي الجائر ومن الذي يلزم الصمت المطبق تجاه جرائم الهنود الوثنيين المجرمين في كشمير والروس

الملحدين في الشيشان ومن الذي يدرّب جنود جيش الفلبين، أكلة الكلاب والثعابين، لوأد انتفاضة وجهاد إخواننا في الجنوب إلا الغرب بزعامة راعية الحملة الصليبية العالمية: الولايات المتحدة الأمريكية.
وإليك أيها المسلم دليل آخر على حقد الصليبيين الذي لا يتغير. لقد شهد العالم بأسره المذابح الوحشية المخيفة التي تعرض لها شعب البوسنة والهرسك المسلم والتي راح ضحيتها الآف المسلمين الأبرياء وكانت أوروبا وأمريكا ترى وتراقب المجازر التي تقع ضد الأنفس البريئة ولكن دون أن تحرك جيوشها وهي التي-لعنها الله-تدّعى أنها راعية حقوق الإنسان والعدالة والمساواة.
لقد ردد الجهلة بحقيقة الصراع الخالد بين الكفر والإيمان، أن ليس للغرب مصالح اقتصادية تحركه لرد اعتداء الصرب الملاعين، ولكنهم للأسف لا يدركون أن الغرب الأمريكي والأوروبي كان يحجم عن التحرك لأن القاتل صربي كافر والمقتول بوسني مسلم.
نعم كانت لأمريكا والغرب مصالح في وقوع المجازر ضد المسلمين في البوسنة والهرسك ولكنها لم تكن مصالح اقتصادية بل كانت سياسية ودينية وحضارية. وهل للغرب مصالح اقتصادية عندما يدعم دعما لا محدودا الدولة اليهودية؟ وأين مصالحه الاقتصادية عندما يدعم بالسلاح والمال المتمردين الكفرة في جنوب السودان؟ يقول هارون يحي، وهو كاتب تركي معروف، عن أزمة البوسنة والهرسك أنّ فرانسوا ميتران الرئيس الفرنسي قد أخبر على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك أن فرنسا لا تريد دولة مسلمة في أوروبا. ويضيف الكاتب عن موقف الغرب الأمريكي وأوروبا من الصراع الدائر " لقد كانوا يؤيدون الصرب ولكن بشكل معقد ولهذا يمكن القول بأن الغرب لم يكن غير مبال بل على العكس كانت له نوايا ضد المسلمين"[39]
قل صدق الله. الله أكبر الله أكبر. نعم ظهروا على المسلمين وأُديلوا عليهم فلم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة.
أقول للدولة العلمانية في العالم الإسلامي، أذلها الله، ما قاله الله رب العالمين:
(اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) الأعراف/3
وأقول للدولة العلمانية، أخزاها الله، أن تعود إلى الله وتتخذه و رسوله والمؤمنين أولياء من دون الكافرين في واشنطن وتل أبيب وروسيا

[39] هارون يحي، قصة التحالف الخفي بين اليهود والصرب، مجلة المجتمع ، العدد 1306، ربيع الأول 1419 ، ص 21

ولندن. ذلك أمر الله وتلك حاجة المسلمين وتلك حاجة الإنسانية كافة التي تحتاج من ينقذها من عبادة المال وعبادة الشهوات وعبادة الدنيا:
(إنما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون) المائدة/ 55
وأقول للدولة العلمانية وقيادتها الضالة، أنكم سواء مع الكافرين في الظلم والزندقة لأنكم قد اتخذتم الظالمين المقاتلين للمسلمين أولياء من دون الله وجماعة المؤمنين:
(يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق....الآية) الممتحنة/1
(إنّما يناهكم الله عن الذين قتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظلمون) الممتحنة/9
وإذا براءة النظام السياسي في الإسلام من الكافرين وعدم اتخاذهم أولياء يعطيها صفة التميز التي يمكن من خلالها إقامة النهضة المتميزة عن النهضات السابقة واللاحقة في التاريخ الإنساني والتي طغى عليها الطابع الوثني في الأنظمة والسلوكيات والتصورات. وهو كذلك يجعل النظام السياسي والمجتمع الذي يحكمه في حالة من الطمأنينة النفسية والمجتمعية ذلك أنّ كثيرا من صور الانحراف الاجتماعي والظلم السياسي لم يقعا في مجتمعات العالم الإسلامي، إلا بعد اتخاذ الكافرين أولياء ومجاراتهم في العادات والأخلاق والظن الحسن في أخلاقهم الاجتماعية وأنها دافعة للتقدم وكذلك الاعتقاد في كمال أساليب الحكم ونفعها لارتقاء الشعوب بغض النظر عن المنشأ الذي وُجدت فيه والظروف التي ولّدتها.
ثم إنّ التبرأ من الأعداء يُكسب المجتمع قوة ومنعة وتجعله محصّنا ضد ذميم الأخلاق وسفاسف القيم وسافل السلوكيات. ولكن كيف ذلك؟
إّن كثيرا من العادات الضارة والفساد المستشري في السلوكيات المجتمعية، إنما منشأها هو مجارة الشعوب للزمر الحاكمة في العالم الإسلامي والمسئولين الكبار فيه. ولذلك لا يتخذ الكافرين أولياء طاعة لأمر الله وبغضا لهم في جلاله، إلا قلب مفعم بالإيمان بالله وبحبه وحب رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام.
من هنا تنشأ المحبة لهذا النظام وقيادته في قلوب عامة المؤمنين وتتأثر به وتجتهد في محاكاة سلوكياته الحميدة وبذلك توجد بفضل الله، حصنا ضد انتشار الأخلاق الضارة والتي دائما من أمم الشرك وعُبّاد الحياة المادية

من هنا أيضا يكتسب النظام والقيادة إذا ما اتّبعا أوامر الله ونهيه، "الشرعية" التي تؤهله للبقاء والاستمرار. إن شرعية النظام السياسي إنّما تُكتسب من الالتزام بأوامر الله والتوقف عند حدوده وعدم التعدي عليها وليس من رضا الجماهير الذي قد يتغير أو يتبدل أو من خلال الإنجازات المادية كما يذهب إلى ذلك الفكر السياسي الجاهلي الحديث.
ومعرفة أعداء الله وأعداء الديانة والتبرأ منهم تعطى النظام السياسي المطبق لشرع الله بصيرة وعمقا في فهم السياسات الدولية واتجاهاتها فلا يستكين لأمة تُعادي الله ورسوله ولا يثق بها ولا يستجير بها في الرخاء أو الشدة.
وأبرز مثال نسوقه ولا يزال طريا في الأذهان ما وقع للنظام البعثي في العراق عندما استجار بموسكو طالبا منها العون لصد عدوان الصليبيين عنه وأمضى معها الصفقات بمليارات الدولارات كي تُدافع عنه إذا ما نشبت الحرب عليه. وقامت الحرب فعلا وأسقط النظام وقيادته ولم يتحرك رئيس الكرملين الأفعى الرقطاء وعميل اليهود "بوتين" لإنقاذ الرئيس المخلوع.
قل صدق الله, لو استمعوا إلى تحذير الله سبحانه وتعالى:
(يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتب والكفّار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) المائدة/57.
هذا في الدنيا ولم يستمعوا إلى تحذير الله لأن قلوبهم ملئت فسقا وظلما وكفرا.
وأما في الآخرة فسيقولون وقت لا تنفع حسرة ولا ندم:
(ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، ياليتني لم اتخذ فلانا خليلا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) الفرقان 27-29
لقد بيّن لنا ربنا سبحانه وتعالى أمرين أساسيين عن الكافرين يُحرك الأول الآخر هما: الكراهية لفريق للمؤمنين والتحرك المستمر لقتالهم لصدهم عن دينهم. وعلى ذلك فهل يكفي أن تواجههم الجماعة المؤمنة بكراهية مماثلة فقط؟
الجواب لا. ولكن أن تدفع خطرهم وتزيل شرهم وتحطم أفكارهم الضالة والمفسدة لسلامة الإنسانية واستقرارها بالجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى وبذلك يُتم الله نوره ويعلو دين الله على غيره من الأديان. ذلك أن التاريخ يثبت أن الأمة الإسلامية إن لم

تغزوا في سبيل الله فإنه لا محالة أنْ ُتغزا في سبيل الطاغوت. وقد قاتل المغول والصليبيين الأمة الإسلامية واجتاحوها وأسقطوا حضارتها وجعلوه في أسفل سافلين.
فما كان يقيمها ويُنكّس أعداء الأمة ويمزق صفوفهم ويسيل دمائهم ويفتت وحدتهم ويردهم خائبين إلا الجهاد في سيل الله رب العالمين ومعركة عين جالوت وحطين والزلاّقة وفتح القسطنطينية خير الشواهد على ذلك.
وعندما اجتاحت الصليبية المعاصرة العالم الإسلامي، استكانت الزمر الحاكمة للغرب واطمأنت وركنت إليه فتوالت النقم الربّانية على المسلمين لأنهم عطّلوا شريعة الله وعطلوا بذلك الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى وهذا ما وضحه رسول عليه الصلاة والسلام (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)[40]
لقد بين الله رب العالمين للأمة الإسلامية أنها عندما تترك الجهاد في سبيل الله فإن ذلك يؤدي إلى علو الأفكار البشرية التي تشكلها المصالح والرؤى القاصرة للحياة. والفكر البشري المنحرف عن دين الله إنما هو فكر جاهلي موسوم بالنقص والضعف والسعي لإشباع الشهوات المادية التي أصبحت المعبود الجديد من دون الله.
ولذلك مضى الإنسان الجاهلي يعمّر الحياة ويبنيها لإشباع الغرائز الحيوانية من دون ضوابط فوقع الفساد الهائل في الأرض.
(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) الروم/ 41
ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى الجماعة المؤمنة بالقتال من أجل إعلاء كلمة الله ومن أجل درء الفتن ودرء الفساد وتخليص البشرية التائهة من الأفكار الجاهلية الضالة[41] ووأد فتنة الشرك بالله الذي هو المصيبة الكبرى التي ذاقت البشرية ولم تزل وبالها.

---

[40] محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المجلد السادس: القسم الأول، 1996، ص 352

[41] يقول أحد المفكرين الغربيين في حديثه عن اللبيرالية وأثرها في المجتمع الأمريكي: (وثمة الكثير مما يؤيد هذا، يؤيد الشعور بأن النظرة اللبيرالية للتاريخ كانت حماقة مفجعة. فالظاهر أن كل حجة من حججها أمكن نقضها في كل مناسبة فاصلة. فالكوارث الي سبتها التكنولوجيا، والكوارث الأفظع التي تهددنا قد قوضت دعائم الافتراض المنعش القائل بوجود علاقة عارية بين الهندسة والسعادة. والاعتقاد القائل بقيام علاقة لازمة بين التقدم في المعرفة والتقدم الخلقي قد هدمته الصورة التي رسمها الشيوعيون وضمنوها مناظر الوحشية تواكبها المهارة الفنية) ولمزيد من التفصيل ، انظر تشارلز فرانكل، أزمة الإنسان الحديث، ترجمة: نقولا زيادة، مراجعة: عبد الحميد ياسين، بيروت: دار مكتبة الحياة.1959
وعن تأثير الفكر الإنساني القاصر في المجتمعات الغربية انظر الكتاب الكلاسيكي: الإنسان ذلك المجهول، تأليف: الكسيس الكاريل،
ومن الكتب الحديثة كتاب الدكتور عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان.

إنه القتال ضد الكافرين والمشـركين والجـاهليين الـذين عبّـدوا البشـرية لأهوائهم من دون الله وإنه القتال من أجل أن يكون الله هــو المعبــود ولا أحد سواه ومن أجل أن تدخل البشرية كافة في السـلم الـذي يريـده رب العالمين لها[42].

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله...الأية) الأنفال/39

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) البقرة/251

ومن دون الجهاد في سبيل الله لا يمكن أن تكون للأمة عزة أو سـؤددا أو استقرار أن نهضة أخلاقية وعلمية وصناعية أو اقتصادية.

وما من مجد حققته الأمة بفضل الله، في تاريخها المجيد إلا وكان للجهـاد في سبيل الله فضل في رعايته وصـيانته وحفظـه مـن اعتـداء الكـافرين وتربص الحاقدين و غارات الطواغيت الظالمين من الصليبيين والوثنين.

إن الفرق الأساسي بين التصور الإسـلامي لنهضـة الأمـة وعناصـر قيامهـا واستمرارها وبين الفكر الغربي المادي الذي يوجه ويرشد الطواغيت فـي العالم الإسلامي، يكمن في أن المولى عز وجل بيين للجماعة المتبعة لـه ولرسوله أعداء الإسلام ويرشدهم لما ينبغي أن يعملوه طاعة وعبـادة لـه وحفظا لهذا الدين من التضييع والتفريط. وعندما يتم التساهل مـع أعـداء الله أو عدم أخذ الحيطة والحـذر منهـم فـإن العاقبـة تكـون وخيمـة علـى اسـتقرار المجتمـع وعلـى دي ن اللـه ذلـك أن اللـه ي ذكرنا دائمـا أنهـم إن يظهروا علينا لا يمكن أن يرقبوا في مسلم إلا ولا ذمة ويذكرنا سبحانه أنّ نفوس الكافرين المشحونة بالحقد والكراهية تدفعهم لشن قتال دائم ضد المسلمينُ بغيةَ صدهم عن دينهم.

والتاريخ خير شاهد. نعم علينا أن نستحضر التاريخ وأن ندرسه ونعتبر منه ومن أحداثه والقرآن الكريم قصّ علينا قصص الرسـل الكـرام علـى نبينـا وعليهم أفضل الصلاة والسلام لأخذ العبرة وتجنب المصـير الـذي واجهتـه الأمم الهالكة التي بعثوا إليها.

ولنضرب مثالا من واحد فقط من تاريخ الدولة العثمانية. إذ من المعروف لقارئ للتاريخ، الـدور العظيـم الـذي لعبتـه هـذه الدولـة فـي الـدفاع عـن الإسلام ونشره في أصـقاع كـثيرة مـن الأرض ممـا أدى إلـى أن تتحـالف ضدها الـدول الكارهـة للإسـلام مـن أجـل خضـد شـوكتها والوقـوف ضـد تمددها. ولذلك تكوّن الحلف الصليبي العالمي لمحاربـة الدولـة العثمانيـة والقضاء على قوتها وسعيها لنشر الإسلام في أوروبا.

---

[42] وهنا ينهدم التصور الخاطئ الذي يقدمه بعض المفكرين الإسلاميين عندما يقدمون الجهاد في سبيل الله على أنه للدفاع فقط عن أرض المسلمين. لتبيان خطأ هؤلاء المفكرين أنصح القارئ بالرجوع إلى كتاب الشهيد سيد قطب" معالم في الطريق" فصل الجهاد في سبيل الله" إصدار دار الشروق،القاهرة

وفي محاولة منه لتفكيك التحالف الصليبي وإضعافه ومن أجل أن يعيد للبحر المتوسط ما فقده من دور في الملاحة والتجارة بعد أن التفّ البرتغاليون حول افريقية وعرفوا رأس الرجاء الصالح، قام سليمان القانوني (926-974) فأعطى من اتفق معه من الدول الأوروبية كفرنسا والإمارات الإيطالية (جنوه والبندقية)- والتي من مصلحتها عودة التجارة إلى البحر المتوسط- امتيازات خاصة وقدم لهم صلاحيات لم تكن موجودة من قبل وما توقعوها.
وظن السلطان سليم القانوني أن هذه الاتفاقيات مؤقتة وما دامت القوة بيده فإنه يستطيع أن يلغيها في الوقت والزمن الذي يريد أو أن يحطّم الدول التي عقد معها الاتفاقات متى شاء أو أن يجبرها على أن تسلك ما ترغب.
وبنود هذه الاتفاقات كثيرة ولكن أعرضُ بعضا منها لنرى الخطأ الجسيم والذنب العظيم الذي وقع فيه سليم القانوني بمخالفته أوامر الله. ومن بنود هذه الاتفاقات:
"يحق لرعايا فرنسا المتاجرة مع العثمانيين ونقل البضائع من وإلى الدولة العثمانية برا وبحرا ويحق لقنصل فرنسا في استانبول أو اثينا أن يحكم ويقطع بمقتضى قانونه في جميع ما يقع في دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا دون أن يمنعه من ذلك حاكم أو قاض شرعي أو أي موظف آخر. ويحق لقنصل فرنسا الاستعانة بالسلطة العثمانية لتنفيذ ما قضى به".[43]
والسؤال: كيف يمكن لحاكم مسلم يدّعى الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر أن يسمح لقوانين النصارى أن تزاحم شريعة الله رب العالمين وأن يحتكم النصارى الذين لاُ تؤمن ذمتهم ولاُ يوثق في عهودهم إلى شريعة غير شريعة الله وهم يقيمون بين ظهراني المسلمين؟ أليست هذه من موبقات الأعمال والجالبة لسخط الله؟
لقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه و رسوله محذرا له: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك...ألأية) المائدة/ 49
والله يحذر رسوله عليه الصلاة والسلام من فتنة الكافرين له في بعض ما أنزله في كتابه العزيز، فكيف بمن وافقهم وتساهل معهم وأطاح بحكم الله سبحانه وتعالى وارتضى بمن هو دون أي بحكم البشر وأهواء البشر مقابل بعض المكاسب الرخيصة التافهة التي لا محالة زائلة لأن

[43] محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: العهد العثماني ج 8، بيروت، المكتب الإسلامي، 1991، ص 115

الله سبحانه وتعالى لم يباركها ولم يرضَ عنها وكيف يرضى سبحانه عمن خالف أمره واتبع هواه وكان أمره فُرطا؟
ومن البنود الأخرى التي جار فيها سليم القانوني ولم يعدل بل وحابى الصليبيين الملاعين: " ولا تسمع الدعاوى المدنية التي يقيمها السكان العثمانيين أو جباة الخراج ضد التجار الفرنسيين أو رعايا ملك فرنسا عامة"[44]
ونقول: على الرغم من كل السياسات الهشة والهزيلة التي أراد سليم القانوني أن يفتت بها وحدة الحلف الصليبي وإنعاش التجارة إلا أنه لم يفلح في أن يحقق أهدافه الكبرى التي كان يسعى إليها.
لقد أتاحت الإتفاقيات الكثيرة التي عقدها سليم القانوني مع الصليبيين الفرصة أن يتدخلوا في شؤون الدولة العثمانية كما يذكر الشيخ أحمد شاكر. بل أصبحت معنويات الذميون الصليبيون كبيرة بحيث لا يهتمون بالدولة أبدا بله سبب ازعاجا لها إذ كان هؤلاء الخونة يحرّضون على التمرد ويؤسسون الجمعيات التي تضر بالدولة العثمانية واستقرارها السياسي والاجتماعي .
إنه الجزاء الأوفى لمن طلب العون والعزة من غير الله رب العالمين.
والنبي عليه السلام يذكرنا بحقيقة أساسية خالدة ما أخذ بها فرد أو أمة إلا وكانت لها مخزونا وكنزا تنفعها إذ ما نشبت الخطوب واشتدت الكروب: جاء في وصية النبي عليه السلام لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: يا غلام احفظا لله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك) الحديث.
وفي غزوة حنين وثق المؤمنين بالنصر على الكافرين وأن هزيمتهم واقعة لا محالة في ذلك. ولكن ما المصدر الذي استندوا عليه في الاطمئنان لحصول النصر والظفر لهم والخيبة والخسارة والهزيمة لعدوهم؟ هل كانت الثقة في الله واللجوء إليه؟ أم أنهم وثقوا في سؤال النبي عليه السلام دعاء ربه لينصرهم على عدوهم؟ كلاّ وكلاّ وكلاّ. لقد ركنوا إلى قوتهم وكثرتهم ونسوا أن النصر لا يتحقق بكثرة الأسباب المادية ولا قوتها وإنما النصر من عند الله وحده كما ذكر سبحانه وتعالى.
يقول سبحانه وتعالى:
(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذّب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) التوبة 25-26.

---

[44] المرجع السابق، ص 115

لقد كانت زلة من المؤمنين عندما تعلقت قلوبهم بغير الله سبحانه وتعالى فكان من آثارها أن لم يثبتوا في ميدان البطولة والجهاد ونصرة دين الله لولا فضل الله ثم ثبات وبطولة سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام الذي أنزل الهزيمة بالمشركين وردهم خائبين.
لقد فرّ المؤمنون من ميدان المعركة مدبرين على الرغم من إيمانهم بالله سبحانه وتعالى وجهادهم في سبيله، فكيف بمن والى أعداء الإسلام وعطّل أحكام الدين مبتغيا النصر والتمكين كما فعل سليم القانوني؟ لقد أخطأ خطأً عظيما في حق الله وفي حق الرسول الأمين وفي حق الدين وفي حق الأمة أجمعين.
إن أعداء الله المحاربين لدينه ما هم إلا مجرمين فاسقين لا ينفع معهم الإحسان والليـن. ذلك أن من امتلأ قلبه كرها وحقدا وحسدا ضد المسلمين لا يمكن أبدا أن ينفع معه الإحسان والتقدير وإنما ما يمكن أن تُنال به مرضاة الله والتمكين وإرهاب أعدائه هو تقطيع رقاب الكافرين المفسدين في الأرض والذين يقفون ضد نور الله فلا يبلغ البشرية فتسعد بالإيمان به في الدنيا والآخرة.
ثم إن الجهاد في سبيل الله هو الطريق القويم لإقامة الوحدة السياسية بين المسلمين لأن الجهاد يتطلب الوحدة بينهم والتجمع على أساس الدين ليتمكن المسلمون من رد كيد أعدائهم الذين يقاتلونهم كافة ليكونوا أقوى في العدد والعدة فيضمنوا النصر. يقول سبحانه وتعالى:
(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) التوبة/36
إنهم عن طريق الجهاد في سبيل الله وحده، وليس عن أي طريق آخر، يمكن أن يحققوا نهضة وحضارة تحقق الخير والنماء للأمة الإسلامية لأن الله سبحانه يبارك المسيرة ويرعاها ويتعهد بنصر المؤمنين لأنهم صدقوا وأخلصوا ونصروا الله فكان سبحانه وتعالى خير الناصرين.
إن من الخطأ الجسيم أن نتصور أن تكون للأمة عزة وسؤددا دون أن تكون متبعة لدين لله ومن الجهل في دين الله أن يظن أحد أن تكون للأمة نهضة وعزة دون أن يكون لها أعداء. ثم إن الذين يتحدثون عن نهضة قطرية لدويلة من الدويلات العلمانية المعاصرة-أخزاها الله- على أساس التكنولوجيا أو على أساس القوة الاقتصادية أو القاعدة والتوجه القومي، هؤلاء الجهلة الذين ينادون بهذه الدعوات الجاهلية الباطلة لا يدركون-بسبب انطماس بصيرتهم- أن تنمية على أي من الأسس السابقة، لن تؤدي إلا إلى مزيد من الانغماس المهين والمذل والارتباط غير المتكافئ مع حضارة المجرمين والمفسدين في الغرب, ويعني

كـذلك فيمـا يعنـي نقـل الجاهليـة مـن ديـار الكفـر إلـى ديـار المسـلمين والتسبب في انتزاع الأخلاق والشيم النبيلة التي هي رصيد كل أمة تطمح إلى الرقي والازدهار. وهاهي ماليزيا واندونيسيا الـتي يتشـدق بتجربتهمـا الصناعية كـثير مـن المسـلمين، أصـبحتا ذليلـتين للغـرب ومرتبطـتين بـه ارتباط العبد المُهان بسيده القاسي اللئيم، بل وأصبحت اندونيسيا بشكل علنـي وماليزيـا بشـكل ضـمني، أسـواقا لـدعارة النسـاء والتجـارة فـي المخدرات يفِدُ إليهـم أصـحاب الشـهوات الحيوانيـة والنزعـات الإجراميـة والمصالح النفعية والمادية.
واعلم يأخي القارئ وفقك الله، أن الجهاد في سبيل الله تطهير للأمة من مستنقعات الذنوب الـتي سـقطت فيهـا ومـن أدران الشـرك الـذي الـتي تلوثت به، ذلك أن من أسباب نصر الله للمؤمنين، نصرهم لـه وإعزازهـم لدينه وهجرهم للمعاصي:
(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/7
ولكن قد ينجم سؤال يطرحه بعض الذين لا يدركون طبيعـة الصـراع بيـن الإيمان والكفر والتوحيد والشـرك فيقـال: لمـا الحـديث عـن الجهـاد فـي سبيل الله، ونحن نتحدث عن النهضة والتخلف، أليس من الأجدر الحـديث عن نقل التكنولوجيا إلى بلاد المسلمين ومحاربة الفقر والجهل والمـرض وهذا الثالوث (الفقر، الجهل، المرض) أعـداء الإنسـان المسـلم والمانعـة من رقيه المعنوي والمادي والأخلاقي؟
نقول: أن الجهاد في سبيل الله لا تمليه المصالح المادية ولا حفظ الـذات القومية ولا الدفاع عن المنجزات المادية. إن قتالا من أجل ذلك إنمـا هـو قتال مـن أجـل المصـالح الدنيوية الزائلـة وهـو قتـال تعـرف نتـائجه مـن مقـدماته وبواعثه الـتي هـي الحـرص ثـم الحـرص علـى الـدنيا. والدولـة العلمانية المعاصرة لا تقاتل إلا من أجل الدنس من الأهداف. فأما النتائـج فهي الهزيمة والخسران المبين أمام قوى الشر والطغيان الذين تحركهم نوازع مادية جامحة وتسند أطمـاعهم قـوة عسـكرية مرعبـة لا تخيـف إلا ضعيف الإيمان أو من نزع الإيمان من قلوبهم.
هل يمكن للدولة العلمانية في العالم الإسلامي، دولـة البطـش والإرهـاب والإجرام، الهزيلة في بنائها السياسي والمتآكلة فـي نظامهـا الاقتصـادي والمفككـة فـي قاعـدتها الاجتماعيـة أن تـواجه الغـرب المسـلح بـالقوة المعنويـة والماديـة؟ إن الهزائـم العسـكرية المـرّة الـتي ذاقتهـا الدولـة العلمانيـة فـي مصـر والعـراق وسـوريا وباكسـتان أمـام دولـة اليهـود والصليبيين والوثنيين الهندوس لتبين أنـه ما مـن سـبيل لهزيمـة الغـرب عسكريا أو معنويا.

ولذلك لجأت الدولة العلمانية- دمرّها الله- إلى ذات الطريق الذي بنى الغرب به نفسه. لذلك أولت تطوير التعليم ونشره حتى استطاعت أن تحقق قفزات كبيرة في ميدان التعليم تجلّى ذلك بوضوح في زيادة أعداد المتعلمين وأعداد المدارس والمعاهد التعليمية.ولكن لأن التعليم قد حُددت له أهداف مادية بحتة تتمثل في تقوية الاقتصاديات القومية والارتقاء بالدخل المادي وتحسين المستويات المعيشية، فإن أثر التعليم والتربية في بناء الأمة كان هشا وضعيفا، بل على العكس، فقد ساهم التعليم في تصعيد مشكلات الأمة وزيادة تفككها ومعاناتها.
فعلى سبيل المثال، التحق بالمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، ملايين الفتيات ومن بعد تخرجهنّ، أصبحنّ لا يجدن الوظيفة مما أدخلهن في أزمات نفسية وأخلاقية كبيرة جدا، لأنه قد زرع في روع المسلم أن التعليم للوظيفة فقط. ولذلك اضطّر كثير من النساء إلى الالتحاق بأعمال لا تليق بهن كنساء مسلمات. أما من لم تستطع إيجاد الوظيفة والعمل، فإنها تأخذها طريقها إلى صفوف العنوسة التي أصبحت أكبر المشكلات الاجتماعية والإنسانية التى تواجه المجتمعات في العالم الإسلامي أو أن تستلم لإغواءات للشياطين فيذهب دينها وخلقها.
بل إن البطالة في مجتمعات العالم الإسلامي - وآثارها المدمرة- ماهي إلا إفرازات السياسات الاقتصادية الجاهلية المتعفنة و الأنظمة التعليمية التي استقت سياساتها من الفكر التربوي الغربي فكانت النتائج المأساوية المهلكة والعواصف الأخلاقية المدمرة والانهيارات المعنوية والنفسية المتتالية للإنسان المسلم.
هذه هي نتائج بناء الأمة على خطى الغرب الصليبي الكافر. إن أخذ ثمرات الغرب في ميادين العلم والتكنولوجيا إنما هي أوامر رب العالمين فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها كما ورد في الحديث الشريف. ومن هنا فإن الاستفادة من العلوم التي طوّرها الغرب إنما تأتي ثمراته المباركة عندما يصنع من أجل مقاصد أسمى وأرفع من إشباع الشهوات المادية فقط أو تعظيم المنافع المالية أو سلب خيرات الأمم الأضعف وتلك والله دين الحضارة الصناعية.
لقد أخذ الاتحاد السوفيتي كثيرا من الغرب واستفاد من تقدمه التكنولوجي، ولكنه حافظ قدر المستطاع على توجهه الماركسي- اللينني. بل ولأنه لم يفرط في ثوابته الماركسية، ازداد قوة إلى قوته بل واستطاع تشكيل تهديدا عسكريا وعقديا مباشرا للغرب الرأسمالي.

فإذا كان الملاحدة وأرباب الفساد والطغيان فـي الأرض يحـافظون علـى مبادئهم ويدافعون عنها فكيف بأصحاب الحـق والهـدى والنـور، إنهـم هـم الأولى أن ينيروا الأرض ويدخلوها في السلام والآمان.
ولا يوجد مقصد أسـمى مـن الجهـاد فـي سـبيل اللـه. إنـه مـن خلال هـذا الطريق وتحت هذه الرايـة يمكـن الاسـتفادة مـن العلـم الغربـي وإعـادة توجيه مساره لنفع الإنسانية نفعا أشمل وأفضـل وأرقـى ولتحريرهـا مـن المسار الخاطئ الذي مضت فيه.
واليوم وغدا، تحتاج الأمة إلى الجهاد في سبيل الله بعد أن توحّـدت قـوى الشر والفساد في الأرض لمحاربة الإسلام والمسلمين.
وإنه من السذاجة أن يُظنّ أن وضعا كهذا يمكن أن يعالج من خلال الحوار مع حضارة القتلة ومصّاصي دماء الأبرياء في لندن أو واشنطن أو روسيا.
وإنـه مـن الإجـرام فـي حـق الإسـلام والأمـة أن يـدعوا داعٍ إلـى تطـوير الاقتصاد القومي أو تقوية الروح الوطنية-كما يكـذب الكـثيرون مـن وكلاء الغرب في أمتنا- لمواجهة والتصدي لروح الغـرب الشـريرة الـتي تـزدري أمم الأرض ولا تنظر إليها إلا نظرة الاحتقار والدونية.
إن الإسلام ليس عدوا جديد للحضارة الغربية لأن الغرب يبحث عـن عـدو يعبأ من أجله القوى الاجتماعية ويطوّر الطاقـات الاقتصـادية للتصـدي لـه كما حصل مع دولة الملاحدة، وإنما لأن الإسلام:

- هو الذي يرفض استغلال الأمم الضعيفة وغزوها.
- ولأن الإسلام هو الـذي يرفـض تـدمير الأخلاق - كمـا تهـدف إلـى ذلـك العولمة اليهودية- تحت مسميات الحرية الشخصـية و دواعـي الارتقـاء بالحضـارة المدنيـة وهـل إباحـة اللـواط أو السـحاق أو الزنـا وتعـاطي المخدرات من ضرورات ارتقاء الإنسـانية أو الأخلاق الفرديـة أو تقويـة الروح الاجتماعية؟

وإذا كان الغرب قد جدّد عداوته التاريخية للإسلام، فلأنه الدين الذي يريـد أن تعود البشرية إلى عبادة ربها، فهل يعني هذا أن الغرب سـيظل يهـدد العالم الإسلامي دون أن ينفذ؟
من ينظر إلى الساحة الجغرافية سيجد أن أشد الحروب تـدور اليـوم فـي العالم الإسلامي وأن حضارة الغرب قد وحّدت هدفها على تمزيق الإسلام وتقطيع أوصاله ودكّه بكل الوسائل الممكنة وهـل الـدماء الـتي تُسـال إلا دماء المسلمين في الشيشان وفلسطين وكشـمير وأفغانسـتان والعـراق وجنوب الفلبين وأن التهديد باجتياح ديار المسلمين والقضـاء علـى منـابع الصحوة الإسلامية المباركة والسيطرة على ثـروات المسـلمين قـد ازداد واشتد وخصوصا أن الإسلام ليس حرب وتهديد لمراكـز الفسـاد العـالمي

وكفى وليس لأن الإسلام تهديد للحضارة الغربية وقيمها الداروينية[45] وإنما لأنه كقوة إيمانية وعقدية وحضارية يمدها ويباركها الرحمن، تهديد للمغضوب عليهم من اليهود وأذنابهم ولمواقعهم على كراسي التوجيه والسيطرة والتأثير في العالم وهو كذلك التهديد الأشد لدولتهم الكافرة المحتلة لبقعة مباركة من أرض المسلمين.
إن التنمية القطرية التي تسعى كل دولة في العالم الإسلامي اليوم إلى تحقيقها ما هي إلا خرافة وكذبة كبرى تسعى كل من هذه الدويلات إلى فرضها على شعوبها والواقع الاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي يشهد أن التدهور في كافة الميادين هو السائد وليس التنمية، فتنمية التدهور والتخلف وصرف الناس عن دينهم هو الوظيفة الأساسية الحقيقية للدولة العلمانية، وبهذا الضعف الذي خلقته في الأمة، نفهم سبب زيادة التكالب والضغط الدولي المستمر على العالم الإسلامي.
ولذلك فإن إعداد القوة استعدادا للجهاد هو تقوية للأمة الإسلامية وإعادة لمكانتها في الساحة العالمية وحماية لها من مكائد الكفر العالمي. يقول سبحانه وتعالى:
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوا الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم الآية....) الانفال/60
ولو نظرنا إلى الأمم المستكبرة في الأرض اليوم: هل تحمى حضارتها وتدافع عن قيمها وتبث أفكارها بغير قوة عسكرية مرعبة؟ وهل نشرت الحضارة المعاصرة اليوم فكرها ودافعت عن مصالحها بغير الغزو العسكري أو التهديد باستعمال القوة العسكرية؟.
يقول توماس فريدمان اليهودي الصهيوني والصحفي المشهور الذي له تأثير فكري كبير في دوائر صنع القرار في الولايات المتحدة:
(لن تنجح اليد الخفية أبدا بدون قبضة خفية. لا تستطيع ماكدونالدز أن تزدهر بدون ماكدونيل دوجلاس، مصمم طائرات إف 15. تسمى اليد الخفية التي تضمن أمن العالم من أجل تسويق تقنيات وادى السليكون، القوات المسلحة والطيران والبحرية والمارينز للولايات المتحدة)[46].
ويقول نيكسون مبينا أن مصالح الولايات المتحدة لا تحميها إلا القوة العسكرية والغزو العسكري:
(إن رسالة الولايات المتحدة الأمريكية الجديدة يجب أن ترتكز على موقف صلب نابع من حقائقها السياسية والجغرافية وليس على الرمال

---

[45] نسبة إلى تشارلز داروين صاحب نظرية النشوء والارتقاء التي دعمت الإلحاد والكفر ذلك أنها ترى أن الإنسان قد تطوّر من الخلية إلى الإنسان وهو نفي لوجود الخالق سبحانه وتعالى. وقد استغل علماء الاجتماع والاقتصاد هذه النظرية وطوّرو نظرية البقاء للأصلح في المجال الاجتماعي والاقتصادي. انظر كتاب الأستاذ محمد قطب: التطور والثبات في حياة البشرية. فصل: دور اليهود الثلاثة. دار الشروق. مصر
[46] نقلا عن فيجاي براشاد، حكومة العالم السرية، ترجمة:فاطمة نصر، القاهرة، سطور ، 2003، ص 240.

الهشة للمثالية غير الممكن تحقيقها، إن الدول لديها مبادئها ومصالحها ولكي تتمكن من تحقيقها يجب أن يكون لديها القوة لذلك –بما في ذلك قوة السلاح، فإن مصالح الأمم قد يتعارض بعضها مع البعض الآخر، وفي حالة عدم وجود حكم يحترمه الطرفان، فإن هذا التعارض لن يحسمه إلا الحرب.)[47]

وأخيرا نقول أن الله سبحانه وتعالى عندما فرض الجهاد في سبيله فإنه يعلم أن المؤمن لن يستطيع حماية دينه والدفاع عنه أمام هجمات الكفّار من الصليبيين واليهود والبرابرة ولا نشرا له في الأرض إلا بجهاد في سبيله وأن الدولة المسلمة لن تعرف تماسكا اجتماعيا ولا قوة اقتصادية ولا مكانة دولية إلا من خلال الجهاد في سبيل الله.

إن التصور الإسلامي ورؤيته لأهداف النهضة وأسباب التخلف تضاد التصور الجاهلي لأهداف النهضة الذي يقصره على تنمية النواحي المادية في الحياة باعتبارها المتطلبات العليا في حياة الإنسان. وكذلك لا تتم النهضة حسب المنظور الغربي الجاهلي، إلا بتغيير قيم المجتمعات الإنسانية الأدنى في الرقي الاجتماعي والاقتصادي لتتماثل مع قيم الحضارة الغربية التي كانت (أي القيم الغربية) المحرك لتقدمها في مضمار العلم والصناعة والقوة العسكرية.

إن الإسلام يقول لنا أن النهضة والحضارة لا تتم إلا من خلال دين الله. وأن إتباع ما أمر الله به كاملا غير منقوص هو الوسيلة لقيام نهضة راشدة وخلافة راشدة تعطى آفاقا جديدة ليس للإنسان المسلم فقط وإنما للإنسان أيا كان لونه أو وطنه وآفاقا جديدة مشرقة وضّاءة في حياته وفي مسيرته وفي رؤيته وفي آماله وفي اختياراته التي طمستها وأعمتها ظلمات الحياة المادية الجاهلية.

والإسلام يقول لنا لا رقي لنا بغير الجهاد في سبيل الله. والتاريخ الإسلامي يخبرنا بكل وضوح عاقبة الأمة عندما تتخلى عن أوامر الله ونواهيه. والواقع المعاصر الذي شيدته الدولة العلمانية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وتعليميا قد انتكس وارتدّ وخُزي وارتدت حراب الدولة العلمانية على الإنسان المسلم آلاما وشقاء وفقدانا للأمل في حياة كريمة وما ذلك إلا لتعطيل أوامر الله سبحانه وتعالى ومنها ذروة سنامه الجهاد في سبيله. بل والأمّر، أن أئمة الكفر في الغرب يتحكمون في رقاب المسلمين عبر إملاء سياستهم وترسيخ أفكارهم وما حدث ذلك إلا نتيجة تنمية الحياة المادية في بلاد المسلمين على النمط الجاهلي الغربي.

---

[47] ريتشارد نيكسون، الفرصة السانحة، مرجع سبق ذكره، ص، 25

إن أي نهضة تريد أن يكون الإسلام أساسها وموجهها، ستندم أيّما نـدم إن أخذت من الإسلام ما يوافقها وتخلت عن ما أمـر اللـه بـه مـن الفرائـض. إنها شيئا فشيا ستضطر إلى مجاراة ملل الكفر والاقتباس منهـم فـي مـا ينفع الأمة وفي ما يضر ولا تكون عندئذ الحاكمية لله خالصـة وبـذلك يبـدأ الانتكاس وعهد الذلة وزوال الأمة من مسرح الحياة.
(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك مـن تشـاء وتنـزع الملـك ممـن تشـاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كـل شـيء قـدير).آل عمران/26
وتاريخ الأندلس شاهد عظيم إذ يقدم لنا رؤية وبصيرة وعبرة.فعندما هجر المسلمون الجهاد في سبيل اللـه فـي أواخـر عهـودهم علـى الرغـم مـن تطبيقهم الإسلام في كثير من مناحي الحياة وحصول الكثير م ن الازدهـار والرخـاء وسـعة العيـش وعنـدما أصـبح المسـلمون بأسـهم بينهـم شـديد صراعا من أجل الدنيا وزخرفها، وعندما قُذف الوهن في قلـوبهم وعنـدما ُنزعت مهابتهم من قلوب أعدائهم، بدئت تتدفق غزوات الصـليبيين حقـدا على دينهم وطمعا في أرضهم ممـا أفضـى إلـى تقتيـل أبنـائهم والاعتـداء على نسائهم وسلب خيراتهم وأخيرا طردهم مـن بلاد الأنـدلس ومـن ثـمّ إقامة الكفر وسـيادة الكـافرين بـدلا مـن عقيـدة الإيمـان وديـن اللـه رب العالمين. وصدق الله العظيم:
(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحـق عليهـم القـول فدمرنها تدميرا) الإسراء/16
وأقول التخلي ثم التخلي ثـم التخلـي عـن أوامـر اللـه ومنهـا الجهـاد فـي سبيل اللـه هـو الـذي جعـل المسـلمين يُقـاتلون فـي دينهـم وطمعـا فـي ثرواتهم والله العظيم قد أمرهم أن يقاتلوا الذين لا يحرمون ما حرّم اللـه فتكررت مأساة الأندلس فاحتلت فلسطين وكشمير والعراق والشيشان.
(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـر ولا يحرّمـون مـا حـرّم اللـه ورسوله ولا يدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتب حتى يعطـوا الجزيـة عن يد وهم صاغرون) التوبة/29
إن كثير من المفكرين الغربيين والإسـلاميين[48] يرجعـون أصـول الحضـارة الغربية واتجاهها المفرط نحو تقديس الحياة الماديـة أو النـزوع المسـتمر لاستخدام القوة لتحقيق مآربها إلى المدنية الرومانية القديمة. وهـذا فـي جزء منه صحيح.

[48] ومن هؤلاء الأستاذ محمد أسد رحمه الله في كتابه المعروف: الإسلام عند مفترق الطرق.

ولكن الحقيقة أبعد من ذلك. إن الفهم الحقيقي لسلوك الإنسان وبطشه وطغيانه واعتدائه وطمعه في ما عند الآخرين إنما يكمن في انسلاخه عن توحيد الله رب العالمين ومن ثمّ رفضه للأوامر والنواهي الربانية.
(كلا إن الإنسان ليطغى أن راه استغنى) العلق/6
(إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا) المعارج/21
والقرآن الكريم يقصّ علينا سير الأمم التي كفرت وأشركت به واستحدثت الشرائع والأفكار التي تناسب هواها وتستجيب لشهواتها. فكيف كانت سيرتها في الأرض؟
لقد كان البغي والاعتزاز بالقوة وتعمير الحياة رغبة في الخلود هو الهدف الأسمى لقوم عاد.
(وأمّا عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) فصلّت/15
وقال لهم نبيهم هود عليه الصلاة والسلام:
(إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، أتبنون بكل ريع أية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبّارين) الشعراء /125-130
أليس بطش قوم عاد هو سلوك الغرب اليوم في تعامله مع الآخرين؟
وكتاب ربنا سبحانه وتعالى يقول لنا أن الانسلاخ عن عقيدة التوحيد تورث الإنسان حب الدنيا وحب المال والسعي الدءوب لتنميته باستغلال ونهب الآخرين الأضعف وهكذا كان سلوك قوم شعيب عليه السلام: يقول سبحانه وتعالى:
(وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) هود/84
والاستيلاء على أموال الأمم الأضعف من خلال وسائل شتى هو السلوك الرئيس لحضارة الغرب المعاصرة التي يقودها اليوم اليهود المجرمين ويدبرون الخطط والحيل لأكل أموال الناس بالباطل. وصدق الله العظيم فيهم:
(وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون) المائدة/62
وعندما يهجر الإنسان أوامر ربه، يعلو لديه حب اشباع الشهوات الفطرية، بأي وسيلة ولو كانت مما يخالف الفطرة السليمة والأخلاق الحميدة. يقول سبحانه وتعالى عن قوم لوط:

(وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يقوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) هود/78
واليوم تصبح ممارسة الفاحشة المنكرة مثل اللواط والزنا من الخصوصيات الفردية التي لا يحق لأحد التدخل فيها أو استنكارها بل وأن تُصان بالقوانين الوضعية كجزء من مسيرة المجتمعات الغربية نحو تدعيم الحريات الفردية ارتقاء –كما يزعمون- بالمجتمع اقتصاديا واجتماعيا.
إذن فإن انحراف الإنسان الغربي الجاهلي وإتيانه لأفعال تتماثل مع إنسان الحضارة الرومانية أو الإغريقية أو الفارسية، شأن لا يرتبط بموروث حضارة معينة. إن الانحراف في الحضارة المعاصرة ينبغي أن يفهم من خلال الإنسان المعاصر أو ألإنسان عموما عندما يصدف عن أوامر الله سبحانه وتعالى.
ولذلك كان الاعتزاز بالقوة أو استغلال الأضعف أو قتله سلوكا لدى قوم عاد وفرعون ذي ألأوتاد، وسلوكا لدى الأمم الوثنية الجاهلية الغابرة كالرومانية والفارسية أو الحضارة الغربية المعاصرة.
و هذا يقودنا إلى فهم أدق للحضارة الغربية المعاصرة يتجاوز الرؤية الضيقة التي تربط بينها وبين المدنية الرومانية. إنّ الحضارة المعاصرة في سلوكياتها وفي تعاملها مع أمم الأرض ليست وريثة لقيم الأمة الرومانية، بل إنها نسخة مكررة من الأمم التي تكفر بالرسل والأنبياء الكرام. ولذلك يتحول الإنسان فيها من الفطرة وهي عبادة الله رب العالمين والتسليم له، إلى إنسان الطغيان والجبروت والمفسد في الأرض والصاد عن سبل الصلاح والباغي لسبل الإعوجاج والمقاتل، بكل الوسائل، لمن يخالف تفكيره أو يريد أن يُصلح انحرافه أو أن يطهّر الأرض من فساده.
ألم تقل الحضارة الغربية المعاصرة عن الإسلام أنه إرهاب وأنه يريد أن يبدّل قيم التطور والتقدم بفكر الجمود والتخلف؟ وكذلك قال فرعون من قبل عن دعوة موسى عليه السلام (إني أخاف أن يبدّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد) وقال قوم لوط -عن دعوته التي أرادت أن تسمو بالمفسدين إلى آفاق الطهارة والزكاة في السلوك والتصورات- (أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) وكذلك قال قوم شعيب لنبيهم عندما دعاهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وترك أكل أموال الناس بالباطل(ولولا رهطك لرجمناك).
هذا الاتفاق في الخطاب وفي النظرة إلى دعوة التوحيد والإصلاح على الرغم من الأزمان السحيقة والآماد البعيدة التي تفصل بين الإنسان

الجاهلي في تلك الأمم المهلكة بعذاب الله وبين الإنسان الجاهلي المعاصر، يبين بكل جلاء أن أصل الفساد عند الإنسان إنما يعود إلى بعده عن الله سبحانه وتعالى و أن ما فعلته الأمم الفاسدة والضالة مع أنبيائها ستفعله الحضارة المعاصرة مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام عندما تعزم عزما صادقا وأمينا ومخلصا لله أن تجعل الإسلام دينا وحاكمية الله منهجا ولنَ يصدَّ كيدها ولنُ يوقف شرها ومن يوجهونها وعلى رأسهم عصابة المجرمين اليهود إلا جهاد في سبيل الله لأنه أمر الله وما أمر الله به خير وما نهي عنه خير وهو العليم بأحوال عباده سبحانه وتعالى.

التصور الإسلامي لتنمية المجتمع.

عبادة الله سبحانه وتعالى وعدم إشراك أحد به في العبادة هو الهدف الأكبر لدعوة الإسلام وهذا ما بلّغه الأنبياء الكرام صلوات ربي وسلامه عليهم منذ الدعوة الكريمة الأولى لنوح عليه السلام حتى آخر الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

(قل إنما أن بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف /110

والإسلام يؤكد على حقيقة أساسية وسنة لا تتبدل ولا تتحول لأنها من عند الله سبحانه وتعالى: أن سلامة المجتمع وأمنه يُحال تحقيقها من دون أن تكون الحاكمية لله وحده لا ندّ ولا شريك له.

وحقيقة أخرى يؤكدها الإسلام أن تعبيد المجتمع لله سبحانه وتعالى لا تتحقق إلا بتحقيق الإيمان بالله في نفس وقلب الإنسان الذي خلقه رب العالمين لعبادته. يقول مولانا:

(وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) الذاريات/56

وعندما يكفر الإنسان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر وبالرسل والأنبياء، يتحول سلوكه ويكّون قيما غير التي أرادها الله له بل وأن يعممها في مجتمعه لتكون منهجا يمضي عليها الفرد والمجتمع سواء.

هذا الإنسان يحدّثنا القران الكريم عنه وعن خصائصه فيقول سبحانه وهو أصدق القائلين:

(إن الإنسان لظلوم كفّار) إبراهيم/34

(وكان الإنسان كفورا) الإسراء/ 67

(وكان الإنسان قتورا) الإسراء/ 100

(قُتل الإنسان ما أكفره) عبس/17

(كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى) العلق / 6-7

(إن الإنسان لربه لكنود، ,وإنه على ذلك لشهيد) العاديات/6-7
هذا الإنسان الذي يحدثنا عنه القرآن الكريم، يوجد مجتمعا جاهليا قائما على الكفر والظلم والطغيان تتحطم فيه الأخلاق ويفقد فيه الهدف الأساسي والحقيقي من خلقه. وفي المجتمع الجاهلي والمُغرق في الجاهلية تصبح الشهوات والغرائز هي الهدف الأسمى في حياة الإنسان الجاهلي.
هذا الإنسان ينسى ويتجاهل ويعرض عن كل فكرة وكل عمل وكل سلوك لا يحقق له منفعة مادية أو إشباعا للغرائز والشهوات.
وقد كان للفلسفة الداروينية الأثر البارز بل وقد كانت ولا زالت النموذج الفكري القائد والمهيمن في الفكر الغربي الجاهلي المعاصر ولحركة الأمم الغربية داخليا وعالميا.
أما في الداخل فقد طوّرت السياسات التي ترقى بالإمكانيات المادية للإنسان ليس من أجل الإنسان أو رفعا للظلم عنه أو تحريرا له ولتفكيره أو لإيجاد النظرة السليمة والصحيحة التي تمكنه من إدراك الغاية من خلقه ومصيره، وإنما من أجل مزيدا من الإنتاج السلعي والتكنولوجي التي تعطى الإنسان المزيد من الإشباع والدولة المزيد من القوة الاقتصادية والعسكرية والقدرة على خوض الصراع والحروب لنيل أكبر قدر ممكن من الغنائم الاقتصادية والسيطرة على الأمم الأقل قوة والأضعف بأسا.
فمرحلة الإمبريالية الفرنسية والإنجليزية والقتل والإفساد التي أذاقوها الأمم المسلمة ثم بعد ذلك الحركة الفاشستية والنازية و الستالينية[49] ثم مرحلة الاستكبار الاميركية، لم تكن إلا فترة صراع عنيف بين حيوانات في مستوى تفكيرها وفي غاياتها وفي متطلباتها ولكنها –أي هذه الحيوانات- في هيئة إنسان غربي.
ونظرة على الإحصائيات عن عدد القتلى في الحرب الكونية الثانية ستبين بجلاء كيف أن الإيمان المطلق بأصل الإنسان الحيواني وبالتالي التخلص إلى غير رجعة من كل الضوابط و التوجيهات الأخلاقية، جعل الإنسان لا يتورع أبدا عن انتهاك وتدمير الإنسانية في وجودها وفي قيمها وفي أي أمل يمكن أن ينشئ قيما أسمى وأطهر من قيم الفلسفات الدهرية كاالدروينية وما توّلد عنها كالماركسية والبرجماتية.
فالحرب العالمية الثانية قد خلّفت ما لا يقل عن 14 مليون قتيل بخلاف القتلى وضحايا الأنظمة الماركسية مما دفع بريجنسكي "مستشار الأمن القومي الأسبق " أن يسمي القرن العشرين بقرن القتل المليوني[50].

[49] نسبة إلى السفاح المجرم عميل اليهودية العالمية : جوزيف ستالين
[50] انظر كتابه: الفوضى. عمّان، الأهلية للنشر والتوزيع

وفي الداخل الاجتماعي، انطلق سُعار الشهوات الغريزية وتلبية المطالب المادية بلا قيود ولا حدود، مما أوجد حالة من الصراع والعنف بين أفراد المجتمع. فإذا كانت الحروب العالمية التي أجّجها الغرب قد سوّغت القتل دفاعا عن المصالح القومية والاقتصادية وطريقا لتحقيق الانتصار- ولو بأي وسيلة- والسيطرة العالمية، فإن ذات الطريق سيتحول إلى داء اجتماعي يجرّع الأمم الغربية علقمها ويحصد الأمن والاستقرار الاجتماعي فيها.

ولنأخذ بعض الأمثلة من المجتمع الأمريكي إذ تبين الإحصائيات الحقائق التالية:

- "تدل الإحصائيات الرسمية في الولايات المتحدة على ارتفاع معدلات الجريمة إلى ما نسبته 600% بل إن الإحصاءات المسجلة أكثر من ذلك. أرقام معدلات الجريمة مذهل ومروع، 60% من مجموع الأمريكيين كانوا ضحايا لجرائم كبيرة، 58% من هؤلاء كان ضحية لمثل هذه الجرائم مرتين على الأقل"
- الأنموذج المثالي للطفولة. نسبة مروعة من الفتيات الامركيات يفقدن بكارتهن قبل سن الثالثة عشرة.
- الولايات المتحدة هي الدولة التي تحتضن أكثر المجتمعات عنفا من بين الدول الصناعية في العالم
- هنالك انحلال و تدهور فيما يتعلق بالاهتمام بالأسرة وطاعة الوالدين.
- الانحراف والتحلل في القيم الاخلاقية والسلوك يعد الآن المشكلة الأولى التي تواجه الولايات المتحدة.80% يعتقدون أنه يجب أن يعاد النظر في تدريس القواعد والمبادئ الأخلاقية في المدارس العامة"[51].

إن التصور الإسلامي يُحصّن المجتمع و يرقى به ويثبّت أركان الاستقرار النفسي و الفردي و بذلك يتحقق الاستقرار الاجتماعي. فأما الاستقرار النفسي فيتم من خلال إدراك الانسان للهدف الأساسي من خلقه ألا وهو عبادة الله رب العالمين.

(وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون) الذاريات/56

(وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون) الانعام/153

(إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) آل عمران/51

إن استقرار هذا المعنى في النفس الإنسانية، لا يؤدي فقط إلى تحصينها من لوثات الأفكار الهدّامة، بل ومن ضغوط البيئة المادية التي

---

[51] جيمس باترسون و بيتر كيم: يوم أن اعترفت أميركا بالحقيقة، ترجمة : سعود محمد البشر.

تجبر الإنسان على إتيان السلوكيات المنحرفة.إن ما يدفع الإنسان إلى الخطأ هي مجموعة التصورات الخاطئة عن نفسه وعن الكون وعن الهدف من الحياة. إن الإسلام يقول للإنسان أنك قد خلقت لهدف محدد في هذه الحياة وأنك ينبغي أن تأتي ما أباحه الله لك وان تنتهي عن ما حرّمه الله عليك.
إن هذه القاعدة على بساطتها وعلى وضوحها تشكل المحضن للنمو السليم والآمن للإنسان نفسيا واجتماعيا وعندما يؤمن الإنسان بالله إيمانا صادقا، يتحول سلوكه صوب الخير لنفسه ولمجتمعه وبذلك تنحسر من المجتمع محركات الشر ونوازع الجريمة.
ثم يبين دين الله سبحانه وتعالى أن للإنسان المسلم حقوقا ينبغي أن تؤدى إليه وعليه واجبات ينبغي أن يؤديها حتى يتحقق له الخير من الله سبحانه وتعالى وحتى يتحقق للمجتمع الخير والنماء على منهج الإسلام.
أما الحقوق التي له فقد كفلها الإسلام منذ صغره وطفولته بأن أوجب على الأبوين رعاية الصغير والحنان عليه وتعليمه دين الله رب العالمين وصرفه عن الشر وسبله والفساد وطرقه. و رعاية الأبناء وتعهدهم على الخير وطاعة أمر الله فيهم أولى طرق الخير وصيانة المجتمع من الانحرافات السلوكية والأخلاقية.
إن القصة الشهيرة التي وقعت في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أن جاءه رجل يشكو عقوق ولده له لتبين بجلاء أثر التنشئة السيئة البعيدة عن أمر الله ونهيه على نفس الابن وسلوكه. لقد كان الأب هو الذي حرم ابنه من الحقوق فلم يعلمه القران الكريم ولم يسمه اسما حسنا ولم يختر له أما ذات دين كما أخبر الابن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يكن منه إلا أن عقّ والديه.
وعقوق الوالدين أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله وهو الشر الجسيم: منه يظهر اللصوص والمخربون لاستقرار المجتمع.
إن انتشار المؤسسات في العالم الإسلامي التي ترعى الجانحين ما هو إلا نتيجة ظلم الآباء وتقصيرهم المفرط في تربية أبنائهم تربية صالحة يرضى عنها الله ويرضى عنها الناس. إن كتاب ربنا يبين لنا نموذجين من السلوك أحدهما لرجل صالح أثّر الإيمان في قلبه فأثمر سلوكا فيه الأدب مع الله والخلق الكريم مع الوالدين: يقول سبحانه:
(ووصّينا الإنسان بوالديه إحسنا حملته أمّه كرها ووضعته كرها وحمله وفصله ثلثون شهرا حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التى أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل

صالحا ترضاه وأصلح لى في ذريتي إنى تبت إليك وإني من المسـلمين) الأحقاف/15
وأما النموذج الآخر فكفر بالله وعقّ والـديه وانتفـى الخيـر مـن خلقـه و سلوكه فكان من الخاسرين في الدنيا والآخرة:
(والذي قال لوالديه أفٍ لكما أتعداانني أن أخرج وقد خلـت القـرون مـن قبلي وهما يستغيثان الله ويلك ءامن فيقول ما هذا إلا أساطير الأوليـن، أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم قد خلـت مـن قبلهـم مـن الجـنّ والإنس إنهم كانوا خاسرين) الأحقاف/18
إن الإيمان بالله وبرسوله ثم طاعة الوالدين هما منبعا السـلام النفسـي والاسـتقرار الاجتمـاعي، بـل إن طاعـة الوالـدين والـبر بهمـا همـا مـن الأسباب التي تعطي المجتمـع قـوة وتقـدما وازدهـارا ذلـك أن اللـه رب العالمين لم يك ليُبارك فـي مجتمـع لا يـبر فيـه الأبنـاء آبـائهم و لـم يـك ليُبارك في مجتمـع لا يُعطـى الأبنـاء حقـوقهم والحـديث الشـريف يـبين الطريق لمجتمع تعيش فيه الأسـرة بسـلام آمنيـن. يقـول عليـه السـلام (بروا آبائكم تبركم أبنائكم)
وإذا كانت حقوق الإنسان في التصور الإسـلامي، تبـدأ منـذ صـغره فـإن للإنسـان المسـلم كـذلك حقوقـا أخـرى يضـمنها لـه النظـام السياسـي المسلم. ومن أعظم حقوقه التي ينبغي أن يضمنها له النظام المسـلم، هو تعليمهم دين الله.
نعم إن تعليم أفـراد المجتمـع المسـلم دينهـم ومـا يريـده رب العـالمين منهم هو من أهم وظائف النظام السياسي الإسلامي بل هي من أعظـم أماناته.
إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أكّـد لعمـاله هـذه الحقيقـة الكـبرى وأثرها في ثبات الأمة على دينها وحصول البركات من الله رب العالمين وكذلك تقدمها في ميادين الحياة.
لقد كان عمر يبين لعمّاله حقوق العباد فيقول: "إني لم أسـلطكم علـى دماء المسلمين ولا على أبشارهم ولا أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة وتقسموا بينهـم بالعـدل فـإذا أشـكل عليكـم شيئا فارفعوه إليّ، ألا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تحرموهم حقـوقهم فتكفروهم."
وعن أبي موسـى رضـي اللـه عنـه قـال: "إن أميـر المـؤمنين عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه بعثني أعلمكم كتاب ربكم وسنة نـبيكم وأنظـف طرقكم."
وكتب رضي الله عنه إلى عامله في أذربيجان قوله:

"يا عتبة بن فرقد: إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك ولا كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك وإياكم والتنعم وزي أهل لشرك ولبوس الحرير"
لقد ألهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إدراك الجهة التي منها يظهر الفسوق والكفر بين أفراد المجتمع: إن حرمان العباد حقوقهم التي أمر الله بها سواء أكان الحكم بما أنزل الله وإنفاذ أمره أو حرمانهم من الحقوق المادية كالتعليم والصحة ووسائل كسب المعيشة وتوفير سبل الإعاشة إنما يعني ذهاب الأمن من المجتمع واضطرابه و انعدام التآلف الاجتماعي وزوال بركات السماء والأرض التي لا تُنال إلا بطاعة الله رب العالمين.
ثم إن التصور الإسلامي يبين جوانب أخرى للإصلاح التي بها ينهض المجتمع المسلم ويضمن وحدته واستقراره ومنها:

- طاعة أفراد المجتمع لأوامر الله سبحانه والتورع عن الموبقات وعلى رأسها الشرك بالله وعقوق الوالدين والسحر واللواط و الزنا والقتل بغير حق وأكل الربا والظلم والغيبة والنميمة والاعتداء على حرمات المسلمين وحقوقهم.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا من أعظم الفروض التي يشترك فيها الدولة وأفراد المجتمع ولا يُعذر من هذا الفرض العظيم أحد.

ولذلك يبين القرآن العظيم منزلة هذا الركن العظيم أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند النظام السياسي المسلم الذي يحكم بما أنزل الله ولا يجعل له ندا:
(الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) الحجّ/41
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد خصائص أفراد المجتمع المسلم و الجماعة المؤمنة التي تعتصم بحبل الله المتين ولا ترضَ به بدلا ويبين سبحانه آثار اعتصامهم بالله ونتائج ذلك بركة ورحمة على المؤمنين: يقول المولى عز وجلّ:
(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/71
وإذا ما أسقطت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد انتفت الخيرية من المجتمع وسمح للمنكر أن يسود وأن يعم:

(كنتم خير أمـة أخرجـت للنـاس تـأمرون بـالمعروف وتنهـون عـن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران/110

والتصور الإسلامي لا يتوقف عند حـدود حـث المسـلمين علـى إتيـان الخير وصرفهم عن دروب الشر و طرائق الهـوى بـل يـبين أن المجتمـع لن يخلو من النفوس المريضة التي تريد أن تفتح على المسلمين أبواب الشر وُترديهم وتخرّب أمنهم واستقرارهم وتزرع الرعب وتـثير الخـوف والإرهاب. ولأن الدين من عند الله سبحانه وتعالى ولأنه أعلـم -سـبحانه بعباده وهو الخبير البصير- فقد فرض الحدود لمنفعة المسلمين وتحصينا لهم من الشر والهلاك مثـل حـدّ قطـاع الطريـق والسـرّاق والزنـاة وأن تـرك إقامـة الحـدود هلاك للمجتمـع وتقويـة للصـوص فيـه وعـون علـى انتشار المعصية.

إن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام عندما جاءه أسامة بن زيـد ليشـفع في أمر المخزومية، لـم يسـتجب إلـى طلبـه وكفـى، بـل بيّـن لـه عليـه الصلاة والسـلام أن هلاك بنـي إسـرائيل كـان بسـبب محابـاتهم للقـوي وعدم إقامة الحد عليه، بينما كان الضعيف فيهم إذا سـرق ولأنـه لا يجـد من يسنده فإنه يقام عليه الحد.

ثم ضرب عليه السلام مثلاً خالدا لأمتـه عنـدما بيّـن أن لـو فاطمـة بنـت محمد سرقت لقطع يدها.

إن هذا التوضيح النبوي الكريم لأمته من خلال ضرب الأمثـال مـن تاريـخ الأمم التي انحرفت عن العمل بالكتب المنزلة إليها كبنـي إسـرائيل وأن في انحرافهـا كـان الهلاك، أو مـن خلال أن القصـاص سـيحل علـى مـن يتعدى علـى حـدود اللـه ولـو كـانت فاطمـة علـي أبيهـا وعليهـا الصـلاة والسلام، ليبين مـدى خطـورة التفريـط فـي حـدود اللـه علـى الإنسـان المسلم وعلـى عقيـدته وعلـى إيمـانه وعلـى سـلامة المجتمـع المسـلم واستقراره الذي لا استقرار له أبدا إلا تحت قيادة شـريعة اللـه الكاملـة المنزهة عن كل نقص والمبرأة من كل عيب لأنهـا تنزيـل مـن اللـه رب العالمين.

ولقد بيّن سبحانه وتعالى أن الاعتداء على حقوق الأبرياء إنما هو إفسـاد في الأرض ولا مكان للفساد في شريعة الله التي نزلـت لتُـدخل النـاس في السلم كافة: سلام الضـمير وسـلام الفـرد وسـلام المجتمـع. يقـول سبحانه وتعالى:

(يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة...الآية) البقرة/208

ويقول سبحانه:

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساد أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تقطّع أيديه وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة/33
وفي الحديث الشريف (حدّ يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحا)[52]
يقول ابن تيمية رحمه الله معلقا على الحديث: " وهذا لأن المعاصي سبب لنقص الرزق والخوف من العدو كما يدل عليه الكتاب والسنة فإذا أقيمت الحدود ظهرت طاعة الله ونقصت معصية الله تعالى فحصل الرزق والنصر."[53]
وقد بيّن الله سبحانه وتعالى الحدود. فقال سبحانه وتعالى في حد السرقة:
(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم) المائدة 38/39
وفي حد الزنا قال سبحانه وتعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) النور/2
وقال عليه الصلاة والسلام في حد اللواط: من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به) [54]
وفي شرب الخمر قال عليه السلام:"من شرب الخمر فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب فاجلدوه ثم إن شرب الرّابعة فاقتلوه)[55]
بهذه الحقوق التي ينالها المسلم منذ صغره أو تلك الحقوق التي يضمنها له النظام السياسي المسلم من خلال التشريعات النابعة من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام يتحقق الإصلاح في المجتمع وتتقلص مساحات الشر ومنافذ الفساد ويصبح المجتمع آمنا مطمئنا صالحا ومصلحا على منهج الله وبعيدا عن نقمته وعذابه:
(فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم الاية...) هود/116
(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) هود/117
(واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) الأنفال/25

---

[52] رواه ابن ماجه
[53] تقي الدين ابن تيمية: السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والراعية. بيروت، دار الافاق الجديدة. 1983، ص 61
[54] رواه أهل السنن
[55] رواه أهل السنن.

ثم وضع الإسلام التوجيهات التي تقوّى أواصر الألفة والتواد والتراحم بين أفراد المجتمع:
ففي مجال الأسرة أمر الإسلام بحسن معاشرة الزوجات. قال سبحانه وتعالى:
(وعاشروهنَّ بالمعروف فإن كرهتموهنَّ فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء/19
ويقول عليه السلام (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر)[56]
وكذلك أوصى الإسلام الزوجة برعاية الزوج واحترامه وأن تسعى لنيل رضاه وحبه (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ولا تطيع فيه أحدا ولا تعتزل فراشه ولا تضربه فإن كان أظلم فلتأته حتى ترضيه)[57]
وأكد الإسلام على حقوق الأرحام وذوي القربى وشدّدّ على البر بها وصلتها لأن في ذلك الخير للفرد والبركة للمجتمع:
(وءات ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيرا) الإسراء/26
ويقول عليه الصلاة السلام: إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأوا إن شئتم (فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم)[58]
وأمر الإسلام العظيم أفراد المجتمع المسلم بالتواد والرحمة فيما بينهم:
يقول عليه الصلاة و السلام:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[59]
ومن حقوقهم كذلك كف الأذى عنهم " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[60]
ومن الحقوق الأخرى رعاية الأقدر للأضعف كالأرملة والمسكين حماية لهم من وقع الحرمان وشدة الضرورة وتقوية لهم على طاعة الله سبحانه وتعالى وإغلاق المنافذ التي منها ينمو الشر والفساد في المجتمع ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فقد نال الأجر منه واستحق رضوانه ودخول جنّات الخلد: يقول عليه السلام:

---

[56] رواه مسلم.
[57] رواه الحاكم في المستدرك.
[58] رواه البخاري.
[59] مصدر سابق.
[60] مصدر سابق.

"الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل"[61]
والتوجيهات القرآنية والنبوية في مجال إصلاح المجتمع كثيرة وعظيمة جدا ولكن واقع المجتمعات في العالم الإسلامي غير ذلك إذ قد تفجرّت المشكلات الاجتماعية من ضياع أخلاقي وتفكك أسري وتمزّق اجتماعي وانتشر معها البغضاء والأحقاد والكراهية وأصبحت مجتمعات العالم الإسلامي غارقة في دوامة الصراعات الاجتماعية العنيفة التي تخلخل استقرارها وتؤخر تقدمها الاقتصادي والاجتماعي وكأن هذه المجتمعات لا تعرف من دين الله شيئا وكأنها لا تعرف أن الرحمة والتواد بين المسلمين وإعطائهم حقوقهم إنما هو من التعبد لله سبحانه وتعالى والسؤال لماذا وقع كل ذلك؟
إن تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله هو السبب الذي أدى إلى انتشار هذه المشكلات الكبرى في مجتمعات العالم الإسلامي وتفاقمها حتى أصبحت أبرز خصائصه ومن أوضح علامات تخلفه. فمن يصدق أن أمة ينزل عليها كتاب من السماء ليرقَ بها ويّوحد كلمتها ويقوى شوكتها يمكن أن يكون حالها في الجانب الاجتماعي وغيره من الجوانب كحال الأمم الكافرة في التفكك والضياع وذهاب الأخلاق؟
ولنضرب الأمثال على ذلك. لقد قامت برامج التنمية الاجتماعية في العالم الإسلامي على غير أساس من الشرع الإسلامي فحدث الثراء والرفاهية عند بعض المجتمعات وأصيبت مجتمعات أخرى بالفقر والعوز والحاجة فماذا كانت النتيجة في الحالين؟
لنأخذ مثالا من حال المجتمعات المترفة.إذ تذكر الاحصائيات أن بلدا من بلدان الخليج العربي بلغ عدد المتعاطين فيه للمخدرات حوالي عشرين ألف حالة. ويذكر التقرير:"ولا يخفى خطورة هذا الرقم في بلد مساحته لا تتعدى خمسة عشر ألف كيلو متر مربع وعدد سكانه حتى الآن لم يتجاوز المليون نسمة" ويضيف التقرير:"وقد ازدادت نسبة الحوادث المرورية الناتجة عن المسكر أو المخدر حيث توضح الإحصاءات الصادرة من الإدارة العامة أن إجمالي الحوادث في عام 1998 بلغت 550 حادث مروريا نتيجة المواد المسكرة أو المخدرات"
مثال أخر يوضح كيف أن إغلاق منافذ الخير وسبل الحلال وإقامة سياسات الظلم والفقر تحت مسميات التقدم الاقتصادي والتطور الاجتماعي قد أدى بأفراد المجتمع، نتيجة الإحباط وفقدان الأمل والضياع والتيه وانتشار الغنى المفرط والفقر المدقع،إلى الإقدام على ما يضرهم

[61] مصدر سبق ذكره.

ويضير الأمة في أخلاقها واستقرارها. ومرة أخرى تبين الإحصائيات (الصادرة عن الأمم المتحدة) عن تنامي الاتجار والتعاطى للمخدرات ففي اليمن والصومال يتعاطى مالا يقل عن 20 مليون لنبتة القات الضارة.
وهذه السلوكيات المدمرة لقوة المجتمع إنما هي نتيجة منطقية عندما يُسلخ المسلمون عن دينهم وعن توحيد ربهم سبحانه وتعالى ومن ثم تُسلط عليهم السياسات الحالقة التي تحلق الخلق والدين والخانقة لقوة الإنسان المسلم والمدمرة لطاقاته الروحية والبدنية والأدهى أن يروّج لهذه السياسات على أنها بوابة التقدم ووسائل التطور وأنّى لسياسات مضادة ومناقضة لفطرة الإنسان أن تثمر رقيا وتحقق رخاءً؟
لقد انتكست السياسات الاقتصادية والاجتماعية في الأمم الغربية التي ابتدعتها وطوّرتها وانهارت سياسات دولة الرفاهية التي كان يزعم أنها أرقى وأكمل ما ابتدعته المسيرة الإنسانية واشتعلت البيئة الاجتماعية خرابا وتصدعا وتفاقمت في الموجة الجديدة المسماة "بالعولمة" طوابير البطالة وازدادت مساحات الفقر والحرمان وصاحب كل ذلك ردة أخلاقية أكبر في الحياة الفردية والاجتماعية[62].
وأقول عندما أباحت الدولة العلمانية الربا، هل يمكن لآكل الربا وقد انفطرت خزائنه من كثرة المال الحرام أن يفكر في كفالة أيتام المسلمين أو أن يجعل من ماله حق معلوم للسائل والمحروم؟ أو أن يسعَ على الأرملة والمسكين؟ أو أن يخرج زكاة ماله فيدفع عن المكروبين كربتهم أو يرفع عن المحتاجين عوزهم وضنكهم؟ كلاّ. ذلك أن من كانت حياته لا تزدهر إلا بالاعتداء على حقوق الضعفاء المحتاجين – كما يفعل أهل الربا- لا يمكن أبدا أن تنفذ الرحمة إلى سويداء قلبه.
وهل يمكن لمن يعاقر الخمر أن ينشّأ أبناءه على الخير أو أن يكون فيه منفعة لمجتمعه وأمته؟ أقول: هيهات هيهات.
ولكن لا مانع من أن نضيف مثالا آخر. نعم أخى القارئ الكريم. لا بد من أن تعلم كيف تدمرك السياسات العلمانية الجاهلية وتسعى سعيا حثيثا في تدميرك وتزيف القول فتقول لك: أنت هدفنا من كل برامج التنمية. نقول معهم هذا أمر جيد ولكن لماذا تصرون على أن تجردوا السياسة من الدين؟ لماذا ديننا يحرّم الزنا وأنتم أيها السياسيون تبيحون الزنا؟ لماذا ديننا يحث على العلم وأنتم تحرموننا من العلم الشرعي الذي به نهتدي وتستقيم حياتنا؟ لماذا ديننا يحرم الخمر وأنتم تعتبرونه من مستلزمات تطوير الاقتصاد؟

[62] انظر كتاب: فخ العولمة: الاعتداء على الديموقراطية والرفاهية، منشورات عالم المعرفة. عدد 238

إن المجتمع هو وعاء السياسات الاجتماعية والأخلاقية. فكلما كانت السياسات أقرب إلى الصلاح وأميل إلى الخير كلما انعكس ذلك على المجتمع بحيث يكون أقرب إلى الوحدة والتساند وفعل الخيرات وأقوى على مواجهة الأحداث الجسام والتغيرات العظام التي تصيب الأمم في نظامها الأخلاقي وبنائها الاجتماعي. وكلما كانت السياسات تقوم على أسس فاسدة وتصورات –عن أسس التقدم ووسائله- خاطئة كلما أردت استقرار المجتمع وضيّعت ألفته ووئامه وفاقمت مشاكله وشروره فتجعله في قلق لا يهدأ وخصام عنيف مستمر بين أفراده لا يرحم. وإليك هذا المثال.

لقد كانت القيادة اليهودية في تركيا من أوائل الدول التي سبقت في العلمانية وكانت تؤمن أن ذلك أفضل السبل لنيل العلا والفوز بالمجد والهدى. فكيف أصبح وضع تركيا الدولة والأمة التى حمت الإسلام وذادت عنه بالنفس والدم والمال؟

أما سياسيا فقد تولى اليهود-عليهم لعائن الله- القيادة السياسية واستشرت عصابات ورجالات المافيا في المناصب المهمة في الدولة فلا يصدر قرار يؤثر في مسيرة الأمة التركية ولا تنتهج سياسية إلا بما يرضيهم ويحقق منافعهم. وأما اقتصاديا فلا تستغني تركيا عن قروض المال من الغرب لتحريك اقتصادها وتحسين معاشها وإذا كانت تركيا قد سميت-في أوائل القرن العشرين- رجل أوروبا المريض- فإنها في أواخر القرن المنصرم ينبغي أن تسمى خادم الغرب المطيع.

وأما اجتماعيا فالإحصائيات توضح الكثير.إذ أكدت دراسة تركية "أن زهاء 60% من النساء التركيات فوق سن الخامسة عشرة تعرضن للعنف أو الضرب أو الإهانة أو الإذلال على أيدي رجال من داخل أسرهن. وأشارت الدراسة إلى أن 50% من النسبة الآنفة يتعرضن للضرب بشكل مستمر وأن 40% منهن يرجعن السبب في ذلك لظروف اقتصادية وتناول الكحوليات"[63]

وهذه الحوادث الاجتماعية ليست قصرا على تركيا وحدها وإنما هذا البلاء، أي ضرب النساء وأذيتهنّ، المهلك للحياة الشخصية والأسرية يتكرر في كل مجتمعات العالم الإسلامي التي تهجر أوامر دينها و تمضي في طريق تقليد الغرب الصليبي، ففي المغرب من بين كل 10 إناث تتعرض 7 منهن للضرب وفي مصر بلغت النسبة 25% وفي اليمن 64%.[64]

هل يستوي هذا السلوك المشين والمتعفن مع النموذج السامق الرفيع الذي يقدمه الإسلام عن الإنسان المسلم الذي بطاعته لله سبحانه

[63] www.annabaa.org.nabanews/21/118.htm

[64] ibid

وتعالى ينال السّكينة في نفسه والطمأنينة في تصوراته وأفكاره و البركات في زوجه وولده وماله. يقول سبحانه وتعالى:
(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصّادقين والصّادقات والصّابرين والصّابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) الأحزاب/35
إن المعاصي والذنوب بوابة الشقاء والتعاسة والخيبة والخسران. إن كتاب ربنا قد بيّن بكل وضوح مصير المجتمعات التي تعرض عن الله سبحانه وتعالى:
(لقد كان لسباء في مسكنهم ءاية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) سبأ/15
لقد رزق الله سبأ الخير الوفير والرزق العظيم قال. عنه المولى ووصفه بأنه جنتين، بل إنه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا الهوام وذلك- كما ذكر ابن كثير في تفسيره – لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه.
ولكن هل استمر الناس على التوحيد لتستمر النعمة من رازقها وموجدها؟ كلا لقد أعرضوا عنه سبحانه وتعالى باتخاذ آلهة من دونه يعبدونها ويعتقدون فيها فكان العقاب من الله سبحانه وتع الى الذي لا يرد:
(فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلنهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ذلك جزينهم ببغيهم وهل نجازى إلا الكفور)) سبأ -17
قال ابن كثير في تفسيره:" وقوله (وشيء من سدر قليل) لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر قال(وشيء من سدر قليل) فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة، والظلال العميقة، والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والتمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم إلى الباطل)
هذه القصة العظيمة ينبغي أن تكون حاضرة في ذهن الصغير والكبير والحاكم والمحكوم ذلك أنها تبين أن المعيار الذي يحكم الحياة و تقدمها ونكوصها ليس هو الاستعمار المادي لها وإنما الذي يؤسس الحياة الهانئة الطيبة المباركة هو مرضاة الله مالك الملك والملكوت بطاعته وطاعة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام والتي من خلالها ينطلق تعمير الحياة

على أسس ثابتة بما ينعكس على المجتمعات الإنسانية سلاما وأمنا ورخاء وتوادا بين الإنسان المسلم وأخيه ورحمة فيما بينهم وتواصيا بالخير وتعاونا على الحق وبعدا عن الإثم وانصرافا عن الشر.
وأقسم بالله أن ما حلّ بنا من قلة الأرزاق وانتشار المفاقر وقطيعة الأرحام وقهر الظالم للمظلوم وغياب العدل و الإنصاف وذهاب الأمن إنما بانحراف الأمة عن دين الله وتعطيل الشريعة الربانية:
(أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أ م من أسّس بنيانه على جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) التوبة /109.

التصور الإسلامي للتنمية الاقتصادية.

الإسلام يختلف عن كل ما عرفته البشرية من أفكار وجسدته في السلوك والأنظمة سياسية كانت أو اقتصادية في أمر أساسي: إحلال الأمن في حياة الناس وحمايتهم من الجور والمضايق التي توجدها المناهج البشرية الجاهلية القاصرة.
وما من فترة من فترات التاريخ القديم أو الحديث إلا وشهدت من المظالم الفظيعة التي عانت منها البشرية وانعكست سوءً وبلاءً على الإنسان وقيمه وراحته وأمنه وكرامته وعلى المجتمع ووحدته واستقراره.
لنقلب صفحات التاريخ ماذا يمكن أن نجد في حياة الأمم الغابرة؟ أقول، يمكن أن نجد في حياتها رخاء في الجانب المعيشي وقوة في الجانب المادي، ولكن حتما أن نجد في الجانب الروحي والمعنوي من الحياة من الاضطهاد والمظالم والاعتداءات على الحقوق الإنسانية شيئا عظيما وهولا كبيرا.
لنأخذ مثالا على ذلك من التاريخ القديم ثم تنتقل إلى واقع الأمم المعاصر.
ذكر ويلز عن أوضاع العمّال في بلاد الإغريق:
"أما ثورة اسبارتوكس التي اندلعت في القرن الأول فهي ثورة للأرقاء الخصوصيين الذين كانوا يدربون لمصارعات المجالدين وكان عمال الزراعة بإيطاليا في أواخر أيام الجمهورية وأوائل عهد الامبراطورية يلاقون شر الإهانات فيربطون بالسلاسل ليلا أو تحلق نصف رءوسهم ليصعب الفرار عليهم ولم تكن لهم زوجات ومن حق سادتهم انتهاك حرماتهم والتنكيل بهم أو قتلهم وكان في إمكان السيد أن يبيع عبده

ليقاتل الوحوش في المجتلد فإذا قتل عبد سيده صلب القاتل وجميع من في الدار من عبيد"[65]

ثم يضيف ويلز عن حياة الأرقاء في بلاد الرومان:

"وأدخلت على نظام الرق تعديلات جمة، فهاهنا عبد يقيد بالأغلال ليلا ثم يدفع بالسياط إلى المزرعة أو المحجر نهارا .....

كان هنا كعبيد مدربون على حمل السلاح وقد ابتعث في روما قبيل بداية الحروب اليونانية في 263 ق.م الرياضة الإترسكية التي كان العبد الرقيق يضطر فيها إلى القتال لينقد حياته وسرعان ما لقيت تلك اللعبة رواجا كبيرا وما لبث كل عظيم من أغنياء الرومان ان احتفظ لنفسه بحاشية من المجالدين الذين كانوا يقاتلون أحيانا في المجتلد"[66]

ما ذكرنا كان طرفا من هذه الآلام التي عايشها الإنسان وذلك بسبب سيطرة الفكر الجاهلي الكافر على عقول السياسيين والمشرعين الاجتماعيين الذين كانوا يسوسون المجتمعات ويوجهون طاقاتها ويسخّرون جهودها حسب المصالح الشخصية والمنافع الذاتية أو الجماعية أو القومية فيحيلون أفراد المجتمع عبيدا(وقد خلقهم الله أحرارا) لا حول ولا مشيئة ولا قوة لهم ويضيّقون آفاق عقولهم وتطلعات نفوسهم إلى رغبات رخيصة كالطعام والشراب والراحة والمسكن فأي فرق بين الإنسان وبين الحيوان؟ .

وتستمر معاناة البشرية مهما تغيرت أوضاع الأمم أو ارتقت في عمرانها أو وسائل تحصيل معاشها. وفي القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) تفاقمت المعاناة الإنسانية وتضاعفت وازدادت حدة وقسوة بسبب ما يسمى النظام الرأسمالي وتأثيراته في فكر الإنسان وأخلاقه ونظرته إلى الحياة وفي المجتمع وفي العلاقة بين الأمم قويّها و ضعيفها فما تعريف الرأسمالية؟

نذكر اثنين منها وهما:

"نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس إطلاق الحرية الشخصية للفرد فيما يعمل وفيما يكسب وفيما يملك وفيما ينفق دون حدود أو قيود ومن غير مراعاة لدين أو خلق"[67]

ومن تعريفاتها:

النظام الفردي الذي يسعى فيه كل فرد لتحقيق أرباحه في ظل منافسة حرة وحرية اقتصادية تامة"[68]

---

[65] ج، ويلز، موجز تاريخ الإنسانية ص، 162

[66] مرجع سابق، ص 163

[67] حمود الرحيلي، الرأسمالية وموقف الإسلام منها، دار العاصمة, 1415، ص، 15

[68] مرجع سابق، ص 16

إن الملاحظة الأولى التي يمكن أن نستخلصها من هذين التعريفين أن الضوابط الأخلاقية قد أسقطت نهائيا من فلسفة الرأسمالية وهو ما أسس لهدف أكبر في هذه الحياة يسعى له الإنسان: جمع المال بأي الوسائل وبكل الطرق الممكنة بحيث يصبح معبودا له من دون الله.
الرأسمالية قد شجعت وحفزت القوى الأوروبية الصاعدة على استباحة حقوق الأمم الأضعف منها وعلى احتلالها فكانت مساحة الإمبراطورية البريطانية (أي الدول التي تحتلها بريطانيا) توازي 180 مرة مساحة بريطانيا العظمى والإمبراطورية البلجيكية 80 مرة مساحة بلجيكا والإمبراطورية الفرنسية 20 مرة مساحة فرنسا وسيطرت روسيا على آسيا الوسطى بالإضافة إلى سيطرتها على سيبيريا. ومن ثم ازداد الجشع والحرص على تكديس الثروات فقامت الحروب الكبرى بين الدول الأوربية الغازية لتتقاسم الثروات ولتكون أمم الأرض الضعيفة لقمة سائغة بيد وحوش ضارية يغذيها الغرور والكبر بتفوق جنسها وسمو قيمها وتميز أخلاقها على سائر شعوب الأرض التي لم تكن في تصور القيادات الأوروبية سياسية أو اقتصادية أو فكرية إلا برابرة بدائيين وهمجا غير متحضرين.
وبعد أن أطفئت الحرب العالمية الأولى وبعد عقد تقريبا أي في 1929 شقيت البشرية بأزمة اقتصادية طاحنة انطلقت من عصب النظام الرأسمالي: الولايات المتحدة الأميركية.
فمن مظاهر الأزمة التي ولّدها النظام الرأسمالي:
تسببت الأزمة في قيام بطالة كثيفة بين صفوف العمال لدى عدد كبير من البلدان بعد أن تثاقلت وطأتها على الفئات والمجتمعات العمالية في القطاع الصناعي لتنتقل منه فيما بعد إلى القطاعات الأخرى)[69]
ثم يضيف:
(كان من عنف الأزمة وخلخلة التوازن الذي أحدثته والفرق الشاسع بين الإنتاج الصناعي وبين ملايين العمال العاطلين عن العمل والعمال الذين لا تكفي أجورهم بأودهم وأود أسرهم وزيادة الإنتاج الزراعي وهؤلاء الملايين من الجياع وملايين المزارعين الذين يتسكعون في البؤس أن جعل الناس يتشككون في شرعية وقانونية النظام الرأسمالي.)[70]
وأثرت الأزمة في البناء الاجتماعي كذلك:

---

[69] موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام:العهد المعاصر، ترجمة:يوسف أسعد داغر و فريد داغر. منشورات عويدات، 1987،ص 180

[70] مرجع سابق، ص 194

(أثارت الأزمة في كل البلدان انكفاء في الدخل القومي كما أحدثت فيها حركة توزيع من جراء التغييرات العميقة التي أوقعتها في البنيان الاجتماعي فقد وسعت على الإجمال من نطاق الفروق الاجتماعية كما عملت في تسميم العلاقات بين الطبقات وزادتها خصومة ومنافسة)[71]
والرأسمالية كانت المسئول الأكبر عن قيام الحرب الكونية الثانية:
(السمات المميزة للواقع الفاشي يمكن استنتاجها من درس الحوادث التي وقعت في ايطاليا حيث قامت الحركة ومن ثم ألمانيا المسرحين الرئيسيين لها.
برزت الفاشية بأوضح وجوهها في بلدين كان مطروحا على بساط البحث في كل منهما مشكلة اجتماعية ومشكلة قومية حادة بلدين راحا على حد بعيد فريسة للاضطرابات والقلق الاجتماعي من جراء ما عانتا من حدة البطالة والصراع الطبقي ولعدم استقرار النقد فيهما.....)[72]
ويضيف:
(غني عن القول أن الأزمة التي انفجرت في الولايات المتحدة عام 1929، سددت ضربة قاصمة للحركة الاقتصادية في العالم أجمع وأخرتها....وهكذا مهدت الضائقة المالية الكبرى إلى حد كبير الطريق أمام انفجار الحرب العالمية الثانية)[73]
ثم خرجت دول معينة من هذه الحرب المدمرة منتصرة على ألمانيا واليابان وايطاليا فهل توقفت الحروب وبدئت البشرية تسعد بالطمأنينة والأمل في يوم وغد فيه الأمان والسكينة وسبل الرخاء وبحبوحة العيش؟ كلاّ. لقد انتهت الحرب وبدئت موجة جديد من الضنك والشقاء وقلة الأمن وانعدام الرخاء ولكن ليس الغرب هو الذي ظلم وابتلي بل دول العالم النامية وأكثرها في العالم الإسلامي.
لقد نشبت الحرب العالمية "الباردة" كما تسمى بين معسكري الكفر في الغرب والشرق وتنامت مع الحرب " الباردة" النفقات العسكرية في العالم بأسره ولكن ظلت نقطة بارزة في تاريخ هذه الحرب بين معسكرات الكفر العالمي والمتصارعة على النفوذ والثروة أنها: أوجدت سوقا لتصريف إنتاج السلاح الهائل وان ذلك تتطلب إحداث التوترات الدولية أو الحروب المسلحة. على سبيل المثال: نجد أن كل دول العالم الإسلامي قد أدخلت أتون الحرب عن طريق تهديد أمنها (كما حدث لدول الخليج والتهديد الذي كان يمثله الاتحاد السوفيتي لهم عبر غزوه لأفغانستان المسلمة) وبالتالي إرغامها على شراء الأسلحة من مصادره

---

[71] مرجع سابق،188
[72] مرجع سابق، ص 215
[73] مرجع سابق، ص 424

الرئيسية في الغرب أو عن طريق إدخال دول في العـالم الإسـلامي فـي حرب هوجاء مدمرة ساحقة للطاقات البشرية والطبيعية كمـا حـدث بيـن العراق وإيران.
إن الإحصائيات تبين أن دول العالم العربي ألإسلامي قد أنفقت لوحدها – خلال عقـدي السـبعينيات والثمانينـات- أكـثر مـن 230 مليـار دولار علـى استيراد الأسلحة ونظرا إلى طابع السرية الذي يغلّف العديد من صـفقات السلاح وكذلك وجـود العديـد مـن الـدول الـتي تعمـل كوسـيط فـي نقـل السلاح ووجود السوق والسماسـرة فـإن هنـاك اعتقـادا بـأن مسـتوردات الوطن العربي الإسلامي تفوق هذا المبلغ.
لقد كـان أعـداء اللـه المجرميـن فـي واشـنطن وروسـيا ولنـدن وفرنسـا المستفيد الأول مـن الإنفـاق الهائـل علـى صـفقات التسـليح فـي العـالم الإسلامي ومن إشعال الحـروب فـي هـذه المنطقـة الحيويـة مـن العـالم بأسره.
نعم كانوا هـم المسـتفيدين مـن خلال إنتـاج الأسـلحة وبيعهـا إلـى العـالم الإسلامي ليغرق في مستنقعات الدماء والعداوة والبغضاء الـتي لا تنتهـي وليعيش الغرب في رفاهية ونمو اقتصادي ورخاء و فرص متسـعة للنجـاح بين أفراده.
إذن هنالك عنصر أساسي في النظام الرأسـمالي هـو خلـق تـوتر عـالمي "مصطنع" يستغله النظام الرأسمالي لإحداث حالـة مـن الـثراء الفـاحش ولا يمكن فهم السياسات العالمية للدول الكافرة واتجاهاتهـا إلا إذا فهمنـا هذا العنصر الظالم البغيض في الفكر الرأسمالي الذي طوّره اليهـود فـي أوروبا وأعادوا بذلك سيرة آبائهم الأولى القائمة على أكـل أمـوال النـاس بالباطل قال عنهم القرآن الكريم:
(و أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهـم أمـوال النـاس بالباطـل..الآيـة)161 النساء
(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم و أكلهم السـحت..الآيـة) المائدة/63
ولم يكتفي النظـام الرأسـمالي بامتصـاص أمـوال وثـروات العـالم ومنهـا العالم الإسلامي عن طريق إشعال الحروب وتغذية استمرارها، بل أغـرى هذه الدول بالاقتراض لسد العجز المالي الهائل الذي ما أوجـده إلا تبـذير الدول العلمانية في العالم الإسلامي وسوء توزيـع الـثروات ووضـع أسـوء الناس خلقا في المناصب وتركهم دون مراقبة أو محاسبة أو عقاب علـى تجاوزاتهم وسرقة أموال وثروات الأمة.

إنّ القروضَ ذات الفوائـد المركبـة الـتي تقـدمها الـدول المسـتكبرة فـي الأرض إلى الأمم الأضعف تشكل اليوم أحد المصادر الرئيسية التي تقوى النظام الرأسمالي وتعزز تفوقه الاقتصادي وتعينه علـى الاسـتبداد ونشـر الفقـر والظلـم والبغـي والفسـاد فـي الأرض سـواء داخـل الأرض الـتي يحكمها النظام الرأسمالي أو في أمم الأرض الأخرى التي طبقت المنهـج الرأسمالي في بناء طاقات أفرادها أو الرقي وإصلاح مجتمعاتها، وما مـن أمة على وجه الأرض، ناهيك عن دول العالم الإسلامي، مضت في طريـق الديون الدولية إلا وابتليـت بـالفقر والضـنك فـي المعيشـة والفسـاد فـي الأخلاق والضمائر، وأمم أمريكا الجنوبية كالبرازيل والأرجنتين والمكسيك وما أصابها من دمـار فـي اقتصـادياتها وفسـاد فـي قيمهـا وضـياع لآمالهـا ونسف لاستقرارها وتخريب لأسس واقعهـا ومسـتقبلها تقـدم أمثلـة فيهـا العبرة والدليل البيّن على أن إفقار الأمـم وتحطيمهـا هـو الجـزاء الأوفـى لمن ارتبط بالرأسمالية وأن من زرع الشوك لا يمكن أبد أن يجني العنـب وان من جعل الأفعى في حجـره فلا بـد أن تلـدغه وتقتلـه بسـمها. وإليـك أخي القارئ هذه الأمثلة:

لقد كان الدين الخارجي، عند منتصف السبعينيات، لدول أمريكا الجنوبيـة نحو 60 مليار دولار، وفي عام 1980 وصـل إلـى 204 مليـار دولار وبعـد عشر سنوات تضاعف الدين فبلغ 443 مليار دولار وبلغ حجم الدين بنهاية القرن العشرين 750 مليار دولار.

والنتيجة البائسة التي منيت بهـا هـذه الأمـم أن ارتبطـت بـدول لا تعـرف الرحمة ولا تجعلهـا فـي موازينهـا أو معـايير تعاملهـا مـع أمـم الأرض.لقـد أصبحت أمم أمريكا اللاتينية ملزمة أن تسدد- إلى الدائنين في الشـمال- ومنذ السبعينيات ما مقدراه 25 بليون دولار سنويا

يقـول كتـاب عولمـة الفقـر عـن أزمـة البرازيـل الاقتصـادية ومـا أحـدثته الإصلاحات الاقتصـادية الـتي يرعاهـا" كـاهن الرأسـمالية "صـندوق النقـد الدولي:

(أسهمت الإصلاحات التي يرعاها صندوق النقد الدولي فـي الاسـتقطاب الاجتماعي وإفقار كل قطاعات السكان بما فيها الطبقات الوسطى فضلا عن هذه فمع تحطيـم الهيكـل المـالي الاتحـادي يوجـد خطـر إضـافي هـو البلقنة الإقليمية: عدم الاستقرار داخل الجيش، الانتهاك الروتيني لحقـوق الإنسـان الأساسـية، العنـف الحضـري والريفـي، الحركـة الانفصـالية متصاعدة الصوت في الجنوب)[74]

[74] عولمة الفقر، مرجع سبق ذكره، ص 201

لقد خسرت الإنسانية كثيرا وستخسر أكثر في قادم الأيام طالما أنها ترضى بغير شريعة الرحمن منهجا في بناء الحياة وإن اللصوص الذين يوحون للإنسانية أنها عندما تتبع فكرهم وتسلك مسلكهم وترضى بتشريعاتهم سيصيبها الرخاء وستتمكن من أن تنأى بنفسها عن الشقاء، هؤلاء المساكين المتبعون عليهم أن يدركوا العقل الشرير الذي تنبع منه هذه الأفكار والمناهج الجهنمية التي تزعم تعميرا للحياة واستغلالا بناّءً للطاقات، وعليهم أن يدركوا لمصلحة من توجه ثمرات الجهد البشري وعليهم أن ينظروا في واقعهم وحصائد سياستهم المُنبتةَ في مستنقع الفكر اليهودي وضلالاته وطبيعته العدوانية والمفسدة، وعليهم أن ينظروا في تاريخ الإنسانية منذ أن خلق الله آدم وإلى الآن هل عاشت البشرية فترة كانت خالية من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ومن اعتداء الإنسان على أخيه الإنسان إلا تلك الفترة المضيئة في التاريخ عندما كان دين الرحمن مهيمنا وموجها لحياة الإنسان الذي أسلم حياته ووجه لله رب العالمين (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الأنعام/162

إن الإسلام يقدم رؤيته الخاصة في مضمار تنمية الثروات الطبيعية واستفادة الأفراد منها وامتدادها رخاءً وبركةً على المجتمع. إنه يعلو بالإنسان أولا من خلال الرقي بقيمه ونظرته إلى الحياة ومكانة المال فيها والهدف منه حتى يصبح الإنسان هو المتحكم بالمال لا أن يفتنه حب المال ومن ثم يسعى إلى تنميته بالوسائل المباحة وغير المباحة ولو كان في ذلك هلاكه وهلاك الإنسانية سواء أكان هلاكا معنويا أو ماديا من خلال انتشار الفقر ودمار الأخلاق كما مرّ معنا.

إن دين الله يأمر البشرية بالكدح والجهد في بناء الحياة :

(هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك/15

(هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه) هود/61

ولكن الإسلام الذي دعا إلى التعمير المادي للحياة هو الإسلام الذي يضع الضوابط والتنبيهات لتهذيب حركة الإنسان في بناء الحياة الاقتصادية وأثناء تدبير معاشه ولكبح أي جامحة قد تتغلغل في ثنايا نفسه فتغريه بالاعتداء على حقوق الآخرين ممن يشتركون معه في الاجتماع الإنساني أو أكل حقوقهم أو تضييعها.

فما هي ضوابط الإسلام لتنمية الجانب المادي من الحياة أو ما يسمى بالتنمية الاقتصادية؟

هنالك العديد من الضوابط التي إذا ما تم الأخذ بها فإن الله رب العـالمين يبـارك فـي حيـاة الأفـراد ونشـاطهم وسـعيهم وينشـر بركتـه ورحمتـه بالمجتمع. فمن هذه الضوابط:

<u>التزام النظام السياسي المسلم بوضع التشريعات الإسلامية التي تكفل حقوق الأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء</u>.

نعم إن هذه من الأمور الحيوية التي لا يمكن أن يستمر المجتمع المسلم مستقرا ومزدهرا بدونها.إن تطور الآلة ليس الهدف النهائي الذي يسعى إليه المجتمع المسلم المُوحِد، بل إن ارتقاء التقدم الصناعي وسيلة لازدهار وخير المسلمين. ولذلك فإن أول ما أكد عليه الخليفة الراشد أبو بكر الصديق " أن القوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه وأن الضعيف فيكم عندي قوي حتى آخذ الحق منه" فماذا كان يتبع أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؟ لقد كان حديث قائده وقدوته محمد صلى الله عليه وسلم راسخا في قلبه عميق الأثر في وجدانه وروحه،ُ مجسدا بكل إخلاص أقوال نبيه في سلوكه وأعماله. يقول عليه الصلاة و السلام (ما من عبد يسترعيه الله رعيّة يموت يوم أن يموت وهو غاشٌّ لرعيّته إلا حرّم الله عليه الجنّة)[75]

فكيف يمكن أن يكون الوالي غاشا لرعيته؟ يبين ذلك القاضي عياض رحمه الله حيث يقول" معناه بيّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئا من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخلة فيها، أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم"[76] فإذا ما خَفُتَ صوت الحق الرباني وأُبعد عن أن يكون الحاكم والموجه لسياسات الأمة، تحولت جهود التنمية الاقتصادية ومحاولات التقدم الصناعية إلى وبالٍ على المجتمع لا بد وأن تمزق التماسك الاجتماعي والتآلف النفسي والاستقرار السياسي.

ولنأخذ مثالا على ذلك. لقد بذلت الدول في العالم الإسلامي جهودا كبيرة في مضمار التقدم الاقتصادي مثل إنشاء المصانع والمؤسسات التي تعين على إنجاز جهود الدولة الاقتصادية كالبنوك الربوية وغيرها، و ترتب على ذلك أن تكونت طبقة ثرية جدا تبني ثرواتها من خلال الديون

---

[75] رواه مسلم، كتاب الإيمان: باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ص 146

[76] مرجع سابق، ص 146

الربوية. وفي المقابل، وُجدت طبقة تعاني الفاقة والشدة والضنك من انعدام المال الذي يعينها على الاستجابة لمطالبها الإنسانية.
ثم انهارت محاولات التقدم الصناعي واللحاق بالغرب، فاتجه العالم الإسلامي إلى التركيز على النشاط السياحي (والذي نصح بهذه السياسات المفسدة، خبثاء بني صهيون المتربعون على مراكز التوجيه في صندوق النقد الدولي) وما لازم ذلك من دهس للنظام الأخلاقي في العالم الإسلامي, وأصبحت المحافظة عليه (أي النظام الأخلاقي) عند المخططين الاقتصاديين العلمانيين من المستنكرات(ذلك أن القواعد الأخلاقية والآداب الإسلامية ستقف حائلا ضد كثير من المشروعات أللأخلاقية). ولذلك فقد تم إباحة دعارة النساء المسلمات ونشر الغناء وجميع المحرمات التي نهى الإسلام عنها- اعتقادا أن هذه المشروعات ستحسن أداء الاقتصاد القومي فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

<u>التأكيد على قاعدة عدم الإضرار.</u>

من أهم مقاصد الإسلام العظيم المحافظة على الإنسان والمجتمع والدين.وما يُتخذ في المجتمع من أنشطة اقتصادية ستترك حتما أثرها في الجانب الأخلاقي والبناء الاجتماعي والنظام القيمي السائدة في المجتمع.فإذا كانت الأنشطة الاقتصادية مما يُفكك أخلاق الإنسان ويدمرها فإن مثل هذه الأنشطة محرمة لأن دين الله يحرم الإضرار بالآخرين. إن هذه القاعدة الأساسية في التنمية الاقتصادية ذات التوجه الإسلامي هي ما يفرقها عن التنمية الاقتصادية التي أخذت الطابع الرأسمالي البغيض.
إن الهدف الأكبر للرأسمالية هو الربح وبأي الوسائل كانت. فإذا كان التاجر الرأسمالي يرى أن الغش سيؤدي إلى زيادة الأرباح فلماذا لا يغش وإذا كانت الإضرار بالأمم الأخرى أو تجويعها سيؤدى إلى زيادة الثروة والغنى فإنه لا يتردد في ذلك وهو، أي التاجر الرأسمالي، لا يعني الخلق له شيئا ولا ما يمكن أن ينتج عن سلوكه من ضرر على المجتمع وأفراده وعلى القيم النبيلة وبقائها محركة وموجهة للمجتمع
أما في الإسلام فكل نشاط يمارسه الإنسان المسلم الموحد لله رب العالمين إنما هو إتيان للمباح الذي أمر الله به، والمسلم في كل هذا يضع القاعدة المسيرة لسلوك الأفراد والموجهة لحركة المجتمع في فؤاده فلا ينساها ولا يغفل عنها:
(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) ابراهيم /7
(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)

ولو نظرنا اليوم إلى واقع العالم الإسلامي لوجدنا أن الظلم والإضرار بالعباد من مستلزمات التنمية الاقتصادية في النموذج الرأسمالي الكافر.أليس من ظلم العباد والإضرار بهم إباحة الخمور وأنه لا تحريك للاقتصاد القائم على النشاط السياحي إلا بإتاحتها وتيسير شرائها ؟ أوليس كذلك من الظلم والإضرار بالعباد وطبقة الفقراء أن تنمو الثروات بأيدي فئة محدودة ليتولد من ثرائهم الطغيان والفساد والامتناع عن إيتاء حق الله وحقوق العباد؟

إن حفظ أفراد المجتمعات وصون حقوقهم ورعايتهم وتنمية طاقاتهم لا يتم أبدا إذا كان هناك من السياسات الاقتصادية التي تضيع من أخلاق الناس وتضرهم وتشجع بعضهم على النيل من بعض أو تغري البعض بالتفريط في حق الله ومن ثم تضييع حقوق العباد، فكم أفسدت سياسات إباحة الزنا- المنتشرة في كثير من دول العالم الإسلامي- من الشباب والعلاقات بين الزوجين المسلمين؟ وكم أفقرت سياسات الإقراض الربوي من أسر مسلمة ومن ثمّ فجّرت ما تبقى من مودة ورحمة بين الزوجين؟ ونقول من أسس بنائه على فساد فلن ينال إلا الخراب والضياع.

المحافظة على البعد الاجتماعي في التنمية الاقتصادية.

لا يمكن أن تنهض التنمية الاقتصادية أو تستمر في تقدمها إذا ما اهتز النظام الأخلاقي للمجتمع. ففي الإسلام لا انفصال بين التنمية الاقتصادية والقاعدة الأخلاقية للمجتمع كما أنه لا انفصال نهائيا بين التنمية الاقتصادية وأداء النظام السياسي.

إن التنمية الاقتصادية حسب التصور الإسلامي غايتها الكبرى عبادة الله سبحانه وتعالى وإعمال ما ارتضاه سبحانه وتعالى من تشريعات أو توجيهات في عمارة الأرض واستصلاحها ومن أجل الحياة الكريمة واللائقة بالمسلم.وإذا ما رسخت يد الإسلام في حركة المسلمين الاقتصادية، أعطى ذلك دفعة روحية أكبر للبناء الاجتماعي للمجتمع ورسخت الأخلاق الإسلامية واستطاع المسلمون أن يكونوا كالجسد الواحد وان يكونوا صفا مرصوصا في وجه أعدائهم المتربصين بهم والطامعين في ثرواتهم والساعين لتدمير عقيدتهم.

إن من البلاء الشديد الذي يعانيه المسلمون اليوم هو أن التنمية الاقتصادية التي نشدوها وبالملايين من عروق المسلمين الضعفاء عمّروها أصبحت اليوم وفي عالم المسلمين هي الأداة التي تمزق وحدة المجتمع وتحيل أفراده إلى فُتات لا رابط بينهم إلا رابطة المصلحة فلا إخوة في الله ولا رحمة ولا مودة ولذلك لم يكن غريبا أن تتفاقم

مؤشرات التفكك الاجتماعي كالجريمة والفساد الأخلاقي والمالي وانتشار حالات الانهيار الأسري كالطلاق وانحراف الشباب.هذه الأمراض الاجتماعية الفتّاكة لا علاج لها إلا بمنهج التوحيد سواء في التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية.فما وسائل الإسلام لتحقيق التنمية الاقتصادية؟

أولاً: التأكيد على حق الملكية الخاصة. فالإسلام دين الفطرة ومن الفطرة البشرية أن الإنسان لديه حب التملك بحيث لا ينازعه فيه أحد ولا يعتدي على ملكه أحد.

وتنمية الملكية ليست من غير ضوابط وضعها الإسلام.ومن أهم الضوابط هو التحذير من فتنة المال وما قد يجلبه على الإنسان من شر إذا لم يعمل فيه أمر الله وما يمكن أن يحدثه المال من خير عظيم إذا أدى الإنسان ما افترضه الله عليه. يقول سبحانه وتعالى:

(زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنيين والقناطير المقنطرة منن الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث...الآية) آل عمران/14

ويقول سبحانه وتعالى:

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) التغابن/15

ويقول عليه الصلاة و السلام:

(إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)[77]

ومن هنا يوجه الله سبحانه وتعالى عقل وفؤاد المسلم إلى النظرة الحقيقية للمال فلا يُستغل في الفساد أو الظلم أو الاستعلاء في الأرض وهي من الخصائص المذمومة التي نهى عنه القران الكريم والسنة المطهرة، بل واعتبرت من الوسائل المؤدية إلى الكفر بالله والكفر بنعمة الله، وما مثل قارون إلا نموذجا من هذه النماذج التي أعرضت عن هدى الرحمن فخسف الله بها ومضت عبرة لمن أراد أن يخشى وعيد الله ويطمع في رحمته وهديه.

وفي مقابل التحذير من فتنة المال، يمتدح الإسلام المال الصالح بيد الرجل الصالح. ويقول عليه الصلاة والسلام:

(إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول: لو أني لي مالا لعلمت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل رحمه

---

[77] رواه الترمذي عن كعب بن عياض وقال: حسن صحيح رقم(2337)

ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعلمت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء)[78].

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام أن الرجل الصالح لا ينفق المال إلا في وجوه الخير.

(لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه اله مالا فسلّطه على هلكته (أي إنفاقه في القرب والطاعات)في الحق ورجل آتاه حكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[79]

بل إن الحياة الإنسانية بمفرداتها المختلفة كالحياة الأسرية والاجتماعية يؤدى "المال الصالح" دور مهما وحيويا وأساسيا في استمرارها وتماسكها ونموها وازدهارها إذا ما كان المال بيد الرجل الصالح الذي يعرف حق الله سبحانه وتعالى وبيد الحكومة الصالحة التي تعرف وتؤدي حقوق الله وحقوق العباد فلا تستخدمه إنفاقا في ما يغضب الله رب العالمين. يقول عليه الصلاة والسلام عن المال وأي وجه من وجوه إنفاقه أكثر أجرا:

(دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك)[80]

وأسلوب تنمية الملكية الخاصة أو اكتسابها ووجوه نفقة المال هو ما يميز الإسلام عن الأنظمة الجاهلية الكافرة المدمرة الملعونة كالرأسمالية أو الاشتراكية. فالإسلام لا يقر الكسب إلا من الطيب والحلال. والإسلام الذي أعطى الإنسان الفرصة لكي ينمى ما يملك بكل الطرق التي أباحها، فإنه الدين الذي قيّد بعد ذلك وجوه النفقة فلا تكون إلا في ما أمر حتى تُبارك الحياة ويسعد المجتمع وتستقيم الأخلاق وحتى تكتمل للعبد عبوديته لله سبحانه وتعالى.

أما في الأنظمة الاقتصادية الجاهلية فكل الطرق مباحة وكل الوسائل متاحة لتنمية الملكية وتنمية الثروة. فعلى سبيل المثال: تعتبر القوانين الكافرة أن جسد المرأة ملكا خاصا بها لا يستطيع أحد أن ينازعها في ذلك فلو أرادت على سبيل أن تتاجر في جسدها من خلال الدعارة فلا يملك أن يمنعها من ذلك ولا أن تحاسبها القوانين ومن هذا المنطلق الضال الذي لا تحركه إلا النوازع الفاسدة والشهوات الضالة لأفراد

---

[78] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وأورده النووي في كتاب رياض الصالحين: باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى.

[79] أورده النووي في كتاب رياض الصالحين: باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

[80] رواه مسلم وأورده النووي في كتاب رياض الصالحين: باب النفقة على العيال.

المجتمع نشأت دعارة النساء ومؤسسات الدعارة في المجتمعات التي تسمي نفسها متقدمة.
ومن الوجوه التي أباح الإسلام الإنفاق عليها:

1- في سبيل الله كالجهاد والإنفاق على المحتاجين وضعفاء المجتمع.
2- على الزوجة والأبناء.
3- على الزينة المباحة لإظهار نعمة الله على العبد.
4- وعموما في أي نشاط مباح و يخدم حاجة للمجتمع أو لأفراده بما لا يحدث أي زلل أو ذنب أو يتعارض مع أمر من أوامر الله ونواهيه.

ومن أجل تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى ومن أجل إيجاد المجتمع والأمة المتماسكة والصالحة أمر الله سبحانه وتعالى بحقوق للعباد الفقراء من أموال الأغنياء الذين نمت ثرواتهم وملكياتهم و يعتبر أدائها طاعة له جلّ شأنه وتجنيبا للمجتمع عقابا منه لا يُرد عن القوم المجرمين.
الحقوق المفروضة على الملكية الفردية:

1- الزكاة:وهي من أعظم الفرائض والركن الثاني من أركان الإسلام وبها يتقرب العبد إلى الله ويحقق العبودية له سبحانه وتعالى. يقول سبحانه وتعالى: (وءاتوهم من مال الله الذي ءاتاكم) النور/33 ويقول سبحانه وتعالى (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الحديد/7

وآثار الزكاة عظيمة على نفسية الفرد وعلى علاقته بربه وعلى وحدة المجتمع وتقريب الشُقّة بين طبقات المجتمع المختلفة ناهيك عن أثره العظيم على إزالة الأحقاد من قلوب المحرومين ضد الأغنياء والميسورين ناهيك عن أثرها على زيادة الخير وكثرة رزق الأرض والسماء وصدق العظيم القائل في سورة نوح عن أثر التقوى:
وقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّار يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعلكم جنات ويجعلكم أنهارا) سورة نوح/11-12
وبيّن جلّ جلاله في تعليل قسمة الفئ بين مستحقيه (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) الحشر/1 أي لئلا يكون المال محصورا في الأغنياء متداولا بينهم وهذا ما فعلته اليوم الرأسمالية الطاغية.

2- التكافل الاجتماعي: وهو كل نشاط أو فعل خيّر حث عليه الإسلام كالصدقات والو قف وغيرها. وقد أوضح القران الكريم والأحاديث

النبوية فضل بذل المال: يقول سبحانه وتعالى(فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى، وما يغنى عنه ماله إذا تردى) يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في تفسير هذه الآية:"هذا كله تفصيل لقوله تعالى قبله إن سعيكم لشتى ومعناه بالإجمال والإيجاز: إن سعيكم في الكسب والإنفاق مختلف مبدأ وصفة وغاية وثمرة(فأما من أعطى) ما عليه من الحقوق الشخصية والقومية والمصالح الواجبة والمندوبة(واتقى) سوء عاقبة منعها وضرره في الأفراد وفي الأمة(وصدّق بالحسنى) وهي ما وعد الله من الجزاء على الاحسان بما أحسن منه من مضاعفة الثواب بمثل قوله (ليجزي الذين أساءُوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) وهو شامل لجزاء الدنيا والآخرة (فسنيسره) بمقتضى سنتنا في تأثير صفات النفس في الأعمال وتأثير الأعمال في الأحوال الخاصة والعامة (لليسرى) أي الخطة أو الطريقة الفضلى في اليسر والسهولة والمنفعة له وللناس فيحبه الناس ويحبه الله(وأما من بخل) بما عليه من هذه الحقوق (واستغنى) بماله عن حب الناس وحمدهم وعن حب الله ومثوبته(وكذّب بالحسنى) التي بيناها آنفا بعدم طلبها وتحريها بالإعطاء والإنفاق ، وإن اعترف بها باللسان (فسنيسره) بمقتضى سنتنا المبين آنفا (للعسرى) من الخطتين، وسوء الطريقتين، فيكون سببا لعسر البشر وعدوا لهم ولربهم ويكون له شر الجزاء منهم ومنه عز وجل في الدارين)[81] وفي الحديث الشريف يقول عليه الصلاة والسلام (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا)[82] ويقول عليه الصلاة والسلام (قال الله تعالى: أنفق يابن آدم أُنفق عليك)[83]

ومن هذه الأحاديث يتبن لنا درسا مهما في التصور الإسلامي عن التنمية الاقتصادية وهو: أن الرخاء الاجتماعي والتطور الاقتصادي لا يتحقق من خلال رفع معدلات الاستثمار و زيادة الإنفاق المالي فقط ولكن –وهو هذا هو الأساس- من خلال توجيه الإنفاق ،على مستوى الحكومة أو المؤسسة أو الفرد، نحو المناشط التي تعين الأمة على تحقيق العبادة لله سبحانه وتعالى مما يجعل الأمة مستحقة لعون الله لها وأن يخلف

---

[81] محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقران ودعوة شعوب المدنية إلى الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1988، ص 195

[82] متفق عليه وأورده النووي في رياض الصالحين: باب النفقة على العيال.

[83] متفق عليه وأورده النووي في رياض الصالحين: باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى.

عليها سبحانه وتعالى ما أنفقت وهي تحتسب الأجر عند الله وترجو ثوابه وهذا ما أكدته الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ويكفي قوله جلّ جلاله
(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) سبأ/39. فهل يخلف سبحانه وتعالى على من أنفق ماله لإضرار العباد أو لإفسادهم؟ أم من أنفق ماله في ما حرّم الله أو بذّر ماله أو أسرف؟ تعالى سبحانه وتعالى علوا كبيرا.
على الجانب الآخر، ترى السياسات الليبرالية الاقتصادية أن رخاء المجتمع لا يتم إلا من خلال زيادة الاستثمارات المالية والإنفاق المالي حتى تتحقق التنمية الاقتصادية وترتفع معدلات النمو الاقتصادي وبالتالي تزداد دخول الأفراد وتنتعش الحياة الفردية وترتفع معها معدلات الاستهلاك، وهذا الجانب هو صلب وغاية التوجهات الليبرالية في شقها الاجتماعي.
ولذلك لم يكن يُستغرب أبدا أن تولي هذه السياسات أهمية لتنمية الملكية والثروة وأن تفرّط أيّما تفريط في التماسك الاجتماعي الذي هو عصب التقدم لأي أمة إذ من السعادة المادية التي هدفوا إليها جاءهم الشقاء في الحياة الاجتماعية الذي لم يحتسبوه وأصيب القوم بالتدهور والتأزم في الأوضاع النفسية الذي لم يتوقعوه. والعالم الإسلامي الآن يذوق ويتجرّع ذات الويلات التي تتجرّعها الأمم الكافرة في الأرض ما لم يعد إلى الله وينشد التقدم والرقي من خلال ما يبينه رب العالمين.

<u>ثانيا:التأكيد على حب العمل ومحاربة البطالة</u>.

من الجوانب التي أكد عليها دين الباري سبحانه وتعالى أهمية العمل والدعوة إليه ومحاربة ما يسمى الباطلة والنهي عنها والتي أصبحت في حياة المجتمعات الإنسانية المعاصرة كبرى المشكلات و مصدرا لشرور الإنسان و سببا من أجله تغزو الأمم القوية الأمم الأضعف منها.والإسلام نبّه فؤاد الإنسان المسلم إلى حقيقة أساسية وهي أن الأنبياء الكرام، على نبينا محمد وعليهم أفضل الصلاة والسلام كانوا يعملون وكانوا في ذات الوقت دعاة إلى الله سبحانه وتعالى. يقول عليه الصلاة والسلام (كان داوود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)[84] ويقول عليه الصلاة والسلام (كان زكريا عليه السلام نجّارا)[85] بل كان النبي عليه أفضل الصلاة والسلام يعمل بالتجارة.

---

[84] رواه البخاري، وأورده النووي في رياض الصالحين: باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء.

[85] رواه مسلم، وأورده النووي في رياض الصالحين: باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

ويبين النبي عليه الصلاة والسلام أن على الإنسان أن يحفظ نفسه من سؤال الناس أو اللجؤ إليهم وهو قادر على العمل والكسب. يقول عليه أفضل الصلاة والسلام (لأن يحتطب أحدكم حزمة عل ظهره خيرا له من سؤال الناس أعطوه أو منعوه)[86]

ونخلص، أنه لا مكان في دين الله للكسل أو القعود عن خير الدنيا والسعي فيه ابتغاء وجه الله وكف الوجه عن سؤال الناس. وأما حث الناس على العمل بجميع أشكاله وصنوفه فهو بيد الدولة الإسلامية وإمامها الذي يحرص على توجيه الأمة نحو الخير والنأي بهم عن كل سوء في حياتهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأخلاقية وسيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تقدم دليلا عظيما على أثر التقوى والخوف من الله في ازدهار الأمة وصرفها عن المحن والبلاء والشقاء الذي تعاني منه مجتمعات اليوم.

وإني لواثق كل الثقة أنه متى ما وضعت أوامر الله ونهيه موضع التنفيذ الدقيق من قبل الإمام وحكومته، فإنه لا يمكن أبدا أن توجد المشكلات الاقتصادية التي تواجهها المجتمعات التي انحرفت عن هدي الله سبحانه وتعالى.

إن " البطالة" كمشكلة اقتصادية وعالمية إنما هي مشكلة الفكر الإنساني الجاهلي المنحرف وما أسس على باطل فلا يوّلد إلا باطلاً.وإنّ من أهم أسباب البطالة اليوم إنما هو سوء توزيع الثروات بين أبناء المجتمع الواحد وسوء توجيهها نحو أهداف لا تخدم إلا فئات محدودة من فئات المجتمع. فعلى سبيل المثال فإن ما تنفقه الدول المستكبرة في الأرض على صناعة السلاح جعل جزء كبيرا من هذه الموارد المالية لا يوجه نحو بناء الإنسان وتحقيق الخير له بل على العكس زادت سياسات الإنفاق العبثية التي لا طائل من ورائها التي تتبعها الدول المُفسدة في الأرض من جشع الإنسان وأنانيته وحقده وإفراطه الذي لا حدود له في إشباع شهوات النفس والجسد، وأما تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع والحيلولة بينهم وبين التيه والضياع النفسي والأخلاقي فليست من مبادئ الرأسمالية الملعونة الغاشمة ولا من أهدافها. يقول بريجنسكي أحد أقطاب الفكر الغربي عن مجتمع الرأسمالية:

"إن الفساد المتوارث في قرن الوفرة المباح[87] لا يمثل حصيلة الوفرة أو الكثرة الوجودية فحسب، بل يمكن أن تكون نتيجة لغياب أو إنكار مثل

---

[86] متفق عليه، وأورده النووي في رياض الصالحين: باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

[87] يعرف بريجنسكي "قرن الوفرة المباح" بأنه مصطلح يمكن أن يطبق على أي مجتمع يباح فيه كل شيء ويمكن فيه تملك كل شئء. انظر كتابه " الفوضى" ترجمة مالك فاضل البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998،ص 64

هذه الوفرة في عيون الأعداد المتزايدة أو في عيون أولئك الذين يدركون وجود هذه الوفرة لكنهم محرومون على الصعيد الفـردي مـن إمتيازاتهـا. إن الكدح الاقتصادي في الغـرب مـع تنـامي نسـبة البطالـة والمحروميـن على الدوام-مثل النسبة العالية للسود في أميركا- تخلق ظرفا قتاليا مـن أجل الحصول على قطاف قرن الوفرة جنبا إلـى جنـب مـع نزعـة هدامـة لرفض القيود الأخلاقية على أي مشروع ل"الثراء السريع"[88]

ثالثا:محاربة الفساد والترف والطغيان.

الإسلام يؤكد حقيقة أساسية وهي أن المال امتحان من اللـه للعبـد ليـرى ما يصنع فيه وكيف يوجهه هل ما في يرضي الله أم نحو شهواته وترسـيخ فرديته وتعميق أنانيته وتعظيم طغيانه.يقول جلّ من قائل حكيما:

(واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجـر عظيـم)الأنفـال/28

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) التغابن/15

(إنا جعلنا ما على ألأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) الكهف/46

بهذه الآيات العظيمة يقرر الإسـلام افـتراقه الـبين مـع الفكـر الاقتصـادي الجاهلي الذي ما زاد الأفراد والأمم إلا شقاء وفسادا.

الإسلام يقرر قاعدة البلاء والامتحان فـي المـال ليبنـي فكـر الإنسـان و ليقوّم سلوكه بأن يُلزم نفسه ما أمر الله به، وبهذا الالتزام يصرف نفسـه عن الانحراف وينقذ مجتمعه وأمته عواقب الانحراف التي تصيب الإنسان إذا ما طغى بالمال ولم يُراعى ولم يؤدى حـق اللـه فيـه. والإسـلام يقـرر حقائق عن الإنسان وكيف يسلك عندما يصيبه الغنى وهـو بعيـد عـن اللـه رب العالمين:

1. الطغيـان: يقـول سـبحانه وتعـالى (كلا إن الإنسـان ليطغـى أن رآه استغنى) العلق/6-7
2. منع الخير عن مستحقيه: (إن الإنسان خُلـق هلوعـا إذا مسـه الشـر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا)
3. اكتسابه لخصلة البخل وأمره الناس بالبخل وعدم الإنفاق في سبيل الله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) النساء 36-37
4. طاعة الإنسان لوساوس الشيطان الذي يخ وّفه م ن الفقـر فيزيـده جشعًا وشرًا وحبًا لا حدود له للمال وبحثا عن كل وسيلة لتنميته ولو كانت بالقتل والاعتداء على حقوق الآخريـن.يقـول سـبحانه وتعـالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) البقرة/268

---

[88] مرجع سابق، نفس الصفحة.

5. تحـول الإنسـان مـن الفطـرة وهـي الإسـلام والتوحيـد إلـى إنسـان جاهلي يُمسك عن الإنفاق ابتغاء مرضات الله يقول رب العالمين: (وكان الإنسان قتورا) الإسراء/100
6. الإعراض عن الله في حالة الرخـاء واللجـؤ إليـه فـي حالـة الشـدة. يقول سبحانه وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونـأى بجـانبه وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض)فصّلت \51

إن هذه الآيات العظيمة تصور لنـا حقيقـة الإنسـان عنـدما ينعـم اللـه عليه وإذ به يجحد النعمة و ينكر فضل الله عليه ويحكّم الهوى ويتبعه. إن الإنسان بهذه الأفكار والمناهـج الأرضـية المنبتّـة الصـلة عـن اللـه وهديه والمنبتّة عن فطـرة الإنسـان وعـن كـل خلـق كريـم، لا يزيـده تقدم المجتمع اقتصاديا إلا شرا وطغيانا ويحيل المجتمع إلى مسـتنقعِ فسادٍ وعفونة أخلاقية وأمراض اجتماعية.

ولذلك، فإن التقدم الاقتصادي الذي ينشـده الإسـلام لأتبـاعه يختلـف عـن هـذا الحطـام الـدنيوي الـذي أوجـده وطـوّره الإنسـان الجـاهلي الجاحد والذي أراد من خلاله أن ينشىء مملكة أرضية يكون فيهـا هـو الإله من دون الله رب العالمين لا شريك له. إن الإسلام يصـقل فكـر الإنسان من خلال إيجاد الإنسان الذي يتبع أمـر اللـه سـبحانه وتعـالى ونهيه فيكـون فـي مـأمن مـن أمـراض المـال و الغفلـة الـتي تحـدثها النعمـة و دروب الشـهوات المحرّمـة الـتي تُفتّـح للإنسـان، وبالتـالي يكون قد صانه نفسه وجنّب مجتمعه وأمته وأمّنهم-بإذن الله- عواقب الإسراف ومخاطر الطغيان. يقـول سـبحانه وتعـالى واصـفا الإنسـان الذي يتّبعه ويتّبع أمر رسوله عليه الصلاة والسلام:

(إلا المصلين، الذين هم على صلاتهم دائمون، والـذين فـي أمـوالهم حق معلوم للسائل والمحروم، والذين يصدقون بيوم الـدين، والـذين هم من عذاب ربهم مشفقون، إنّ عذاب ربهـم غيـر مـأمون، والـذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكـت أيمنهـم فـإنهم غير ملمومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هـم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلاتهم يحافظون، أولئـك في جنّات مكرمون) المعارج/22-35

الله أكبر. هذا الإنسان الذي يمتدحه القرآن الكريم يعيش مع نفسه حالة الاستقرار والسلم وراحة البال وهدوء الأعصاب.إن الفقراء فـي حماية هذا الإنسان الغني الذي يعطيهم من ماله الحقَّ الذي أمر اللـه به. وهو كذلك يأمن الناس منه لأنه بعيد عن قول الـزور ولا ينطـق إلا بالحق ولا يشهد إلا بالحق وهو يرعى الأمانات الكـثيرة كأمانـة الـدين

وأمانة تربية الأبناء وأمانة رعايـة الزوجـة وأمانـة العمـل والمسـئولية وأمانة المحافظة على المجتمع من الانحراف والضلال. وهذا الإنسان يعرف حق الله فلا يعتدي على عرض أخيه المسـلم فيرتكـب جريمـة الزنا المحرم.

إن حيـاة الإنسـان المسـلم كمـا يصـفها القـران الكريـم إن هـي إلا مسيرة بناء وإصلاح لنفسه ولمجتمعه وإصلاح في الأرض وعمارة لها وهو بهذا يضاد الكافر الذي لا تعمر حياته ولا تزدهـر إلا بالإفسـاد فـي الأرض وانتهاك للحقوق والأعراض.

(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسـدوا فـي الأرض وتقطعـوا أرحـامكم) محمد/22

وقال سبحانه وتعالى مبينا حال الكافرين وما يفعلـونه مـن تـدمير فـي الأرض:

(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الأعراف/56

ويبين القران الكريم كذلك حال المؤمنين وتعاونهم على الخيـر والصـلاح. يقول سبحانه وتعالى:

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعـض يـأمرون بـالمعروف وينهـون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسـوله أولئـك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/71

بهذا السمو والتميز الإنساني العظيم الذي لا يوجد إلا مـن خلال منهـج واحـد وشـريعة واحـدة يكـون الإنسـان قـد أزال مـن نفسـه نهائيـا بـذور وأسباب الفساد والطغيان والترف والإسراف والتي أصبحت أكبر معـوق، بعد الانحراف عن شريعة الله، لنهضة الأمة الإسلامية المعاصرة[89] ،يقـول الله سبحانه وتعالى:

(ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسـطها كـل البسـط فتقعـد ملـولا مخذولا) الإسراء/29

(وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إنّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين)الاسراء 26-27

ويقول سبحانه وتعالى واصفا سلوكهم واعتدالهم (والذين إذا أنفقـوا لـم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) الفرقان/67

إن هذه الوسطية والاعتدال في أسلوب المعيشـة هـي الـتي تعيـن الأمـة على تحقيق تقدم اقتصادي بل وتعينها على تجاوز أي أزمـة اقتصـادية قـد

---

[89] بل أصبح الفساد يضرب بقوة هائلة اقتصاديات الدول المتقدمة وظهور اقتصاد موازى قائما ليس على الإنتاج والعمل الدءوب، بل على الفساد. يقول بريجنسكي عن بعض من مشاكل الطاغوت العالمي الولايات المتحدة أن هناك: "انتشار واسع لثقافة المخدرات التي تهيمن على الأحياء العنصرية الفقيرة باعتبارها نمطا لهروب نفسي أو أسلوب بديل للثراء بسرعة حيث قدرت مكاسب المخدرات بأكثر من 100 مليار دولار. انظر كتابه الفوضى، مرجع سبق ذكره ص 91

تحيق بالأمة فتضرها أيّما إضرار، ولا يتحقق هذا الاعتدال إلا بإدراك هـدف الحياة الإنسانية والمصير الذي ينتظر الإنسان بعد موته.

رابعا:تحريم الوسائل المؤدية إلى الكسب الحرام.

ما أمر الله رب العالمين سبحانه وتعالى بنهي وتم انتهاكه إلا ابتليت الأمة بشر ذلك الاعتداء على ما حرم الله رب العالمين.لقد حرّم اللـه الكسـب الخبيث لضمان أمن المجتمع وسلامته من اعتداء بعضهم على بعض ومن خداع بعضهم للبعض الآخر .ومـن وسـائل الكسـب الخـبيث الـتي حرّمهـا الشارع الحكيم :

1- الكسب بغير مقابل: كالربا والميسر.
2- الكسب بغير حق: كالغش والسرقة والغصب.
3- الكسب من خلال الاتجار بما يضر كالخمر والمخدرات والخنزير.

وهو العالم الإسلامي قد استباح كل ما حرّم اللـه علـى الرغـم مـن أن هذه الدول تدعى أن دينها الإسلام فهـل اسـتطاعت أن تحقـق تقـدمها المنشود؟ كلا والله. ولن تُفلح في نيل أهدافها أبدا مادامت تسير على هذا الطريق الملعون. نعم ولنتأمـل بعـض الآيـات والأحـاديث الكريمـة التي ُتبين عِظَمَ هذه الجرائم والموبقات الـتي ارتكبـت فـي حـق اللـه وفي حق الأمة باسم التقدم الاقتصادي والرقي الاجتماعي ومتطلبـات المجتمع المدني:

الحرب من الله ورسوله على آكلي الربا:

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربـا إن كنتـم مـؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللـه ورسـوله وإن تبتـم فلكـم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون) البقرة /278-279

وعن جابر قال رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم آكـل الربـا ومـوكله وكـاتبه وشاهديه وقال هم سواء.

فـأي بركـة وأي خيـر يمكـن أن يحـلّ بـالمجتمع وأكـابر المجرميـن يستحلون الربا ويلجئون الناس والمتحاجين إليه؟

الخاتمة.

بعد ثمانية عقود مرت على سقوط الخلافة العثمانية لم تستطع الدول القطرية العلمانية الجاهلية التي- تدّعى زورا أن دينها الرسمي هو الإسلام - أن تُحقق أي شيء مما يتمناه الإنسان المسلم الصادق . بل على العكس من ذلك ما ازداد الإنسان إلا ذلا وهوانا وما ازدادت الأمة إلا دمارا وضياعا على أيدي الحكّام عملاء الصليبية. وقد بيّن لنا

ربنا سبحانه وتعالى أنه لا فلاح في الحياة عمن أعرض عنه سبحانه وتعالى:
(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) طه/124
وكان من أشد أنواع الإعراض عن ذكر الله رب العالمين هو عدم تطبيق شرعه سبحانه وتعالى واتباع بدلا عن ذلك قوانين روما والملاحدة واليهود وادعاء الخونة والمرتدين من هذه الأمة أن هذه القوانين أهدى للأمة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.وقد كذبوا وخسئوا وإن الله ربي ورب كل شيء سينتقم منهم في الدنيا قبل الآخرة كما انتقم سبحانه وتعالى من الجبابرة اللذين كذّبوا رسله وناصبوا دعوة التوحيد العداء.
(كذّب الذين من قبلهم فأتهم العذاب من حيث لا يشعرون، فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى لو كانوا يعلمون) الزمر 25-26
وما موالاة النصارى واليهود والمشركين وانتشار الفساد الأخلاقي والاجتماعي والاستبداد السياسي والخراب الاقتصادي إلا نتائج وحصاد الابتعاد عن دين الله سبحانه وتعالى.
إن الأمة اليوم في موقف الضعف والهوان أمام نفسها وأمام الأمم الكافرة في الأرض وإن الانتقال من وضع الضعف إلى القوة والسؤدد ما كان ولن يكون إلا بالرجوع إلا مصدر واحد وجهة واحدة: هو الإسلام.
(من كان يريد العزة فلله العزة جميعا)فاطر/10 سبحانه وتعالى.
أما نتائج الإتباع الصادق لله سبحانه وتعالى وطاعته وطاعة رسوله ونبذ نظريات اليهود الفاسدة المفسدة وفكر الصليبين والعلمانيين المنحرف فقد بيّنها الله إذ يقول:
(يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد/7
ويقول سبحانه:
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) النور/55 صدق الله العظيم
اللهم بلغنا يوما نعيش فيه تحت راية شريعتك وتحت لواء راية التوحيد.
والحمد لله رب العالمين